کتابخانه
مجلس شورای ملی
تأسیس ۱۳۲۴

کتاب کنه المراد فی بیان نسبت باسعاد

خاتمة الحفاظ والمحدثین الامام العالم
العلامه جلال الدین السیوطی
الشافعی تغمده الله
برحمته
ورضوانه
امین

۱۰۰۰۱
فهرست تکمیلی ۱۳۲

ملکه کید محمد ناکنده
الجلیل الیلدارکی

بازدید شد
۱۳۸۲

کتابخانه مجلس شورای ملی
نام کتاب کنه المراد
مؤلف
موضوع طالب
شمارهٔ دفتر
۲۳۲۵۵
۱۰۱۲۹
۸۱۰۸

خطی - فهرست شده
۸۱۰۸

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب علي ناظمها اكرم كاعب نظمت بذكر سعاد تفاؤلا ففاز من الاسعاد بما سهل عليه من طرق المراشد كل صعب وافاض على المداح بسيب سيله المنهمر فمن مغترف بكفه وماتح بدلو ونازح بقرب والشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تجنب قايلها موارد الاكدار وتحمي صفحتها عن مواقع السوء في الدارين فتحقن الدماء من السيوف وتصون الوجوه من النار والشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جذب بعفاطيب محبته القلوب فالغها بعد النفار وعرفها بالصفح والعفو لذوي القدرة فامه الخايف واسرع اليه المطار صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين تابدوا في محبته فسموا الى رتب الكمال وتنوعت في طلب رضاه مقاصدهم فمن مادح بلسان وذايد بسيف وجايد بمال صلاة تفوق بسهمتها جميع المدايح وترتقب لها السنا الجوايح فيظفر قايلها باكرم المنايح وبعد فلما كان المدح ارفع مقاصد الشعر واعلاها وانفسها واغلاها اذ هو راس مال الشعر الذي يعول عليه ومقصده الذي يرجع في التوسل الى مقاصد السنية اليه وكان مبناه على المبالغة في الذي لا يليق بمقام النبوة مقاطبه مع ما فيه مما لا يليق بجلاله تقدس وعوضه سبحانه من ذلك بان جعل الشعر امطيقين على مدحه مسارعين اليه متنافسين في الوكنا عنه مكبين عليه حتى ملئت بمدحه الدواوين وشحنت منه الدفاتر وحيث الكثرة الاقلام ونفدت دون

نفاذه

نفاذه المحابر وكانت قصيدة كعب بن زهير المعروفة بانت سعاد من انفس المدايح عقدا واعلاها مقاما واعذبها وردا انشدت بين يديه صلى الله عليه وسلم فنالت اعلا المفاخر وقضت بالتقدم في الفضل على من بعدها ما ترك الاول للاخر وكانت الشروح الموضوعة عليها فيما وقفت عليه قاصرة عن شرح غريبها واعراب الفاظها المودية الى حل تركيبها دون التعرض لمعانيها التي هي قصد طلابها واعربت عن شرح غريبها واعرابها اقتضى ذلك اشارة بعض اخواني في الله تعالى ممن توثر طاعته ولا يسع مخالفته ان اقتضبت عليها شرحا يجمع الى حل الفاظها بيان معانيها وبقرب ما بعد تناوله من ثمار مقاصدها المترائبة لاقتطاف جانيها فاستخرت الله تعالى وبادرت الى ما اشار علي به على الوجه الذي يقصد والمعنى الذي يريد هيمنا في ذلك وراي السعيد سعيد وسميته كنه المراد في بانت سعاد والى الله ارغب ان يجعله وسيلة الى الممدوح بها في الشفاعة في المحشر واما انا من النار اذا اشتد الخوف يوم الفزع الاكبر وهما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب تمهيد لا بد للمتصدي من هذه القصيدة قبل الخوض في شرحها من الاحاطة بثلاثة مقاصد المقصد الاول في ترجمة ناظمها رضي الله عنه هو ابو المطرف كعب بن زهير بن ابي سلمى بضم السين واسمه ربيعة بن رياح بالراء المهملة واليا اخر الحروف المزني من مزينة بن اد بن الغنخة بن الياس بن مضر بن معد بن عدنان قال الحافظ ابو عمر بن

تعالى

عبد البر وما وقع من ان هذه النسبة الى غطفان غلط مستنده ان زهيرا وبنيه محالفتهم غطفان فوقع الظن انه منهم قال وكان كعب رضي الله عنه من فحول شعراء العرب المجيدين والمهرة المفلقين ومن مستحسن شعره قوله

لو كنت اعجب من شيء لاعجبني ... سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها ... والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له امل ... لا تنتهي العين حتى ينتهي الاثر

المقصد الثاني في سبب نظمه هذه القصيدة ذكر اصحاب السير انه كان لكعب اخ اسمه بجير فخرج هو واخوه الى ابرق العراق وهو رمل بالحجاز لبني سعد بالقرب من زرود فقال بجير لكعب اثبت في الغنم حتى ياتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فامن به وذلك ان زهيرا اباهما فيما زعموا كان بجالسي اهل الكتاب وسمع منهم انه قد آن مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يبعث في اخر الزمان ورأى زهير في منامه انه هدب من السماء وانه مد يده ليتناوله فتناوله النبي صلى الله عليه وسلم وانه لا يدركه فاخبر بنيه بذلك واوصاهم ان ادركوه ان يسلموا فاسلم بجير فشق ذلك على اخيه كعب فكتب اليه

الا ابلغا عني بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المامون كاس روية ... فانهلك المامون منها وعلكا

ففارقت

فارقت اسباب الهدى وتبعته ... على اي شيء ريب غيرك دلكا
على مذهب لم تلف اما ولا ابا ... عليه ولم تدرك اخا لك ادركا
فان انت لم تعرف فلت بانني ... ولا قائل ان ما عثرت لعالكا

وارسل بها الى بجير فلما وقف عليها اخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المامون قال ما هو دا الله وكانوا يسمون رسول الله صلى الله عليه وسلم الامين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي كعبا فليقتله فكتب اليه اخوه بجير بهذه الابيات

من مبلغ كعبا فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلا وهي احزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجو اذا كان النجاء فتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا دين دينه ... ودين ابي سلمى علي محرم

وكتب بعد هذه الابيات يخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اهدر دمه وانه قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه وان من بقي من شعراء قريش كابن الزبعري وهبيرة بن وهب قد هربوا في كل وجهة وها احسبك ناجيا فان كان لك في نفسك فطر اليه فانه يقبل من اتاه تائبا ولا يطالب بما تقدم في الاسلام فلما بلغ كعبا الكتاب اتى قبيلة مزينة ليجيره من النبي صلى الله عليه وسلم فابت ذلك فضاقت عليه بما رحبت واشفق على نفسه واخيف به من كان عدوه فقالوا هو مقتول فقال هذه القصيدة يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم

الارض

ويذكر خوفه واجابان الوشاة به نعدوه ثم خرج حتى وصل المدينة فنزل
على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة فاتى به الى المسجد
ثم اشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه
واستامنه وعرف كعب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفة التي وصفه
له بها الناس وكان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه
مثل موضع المائدة من القوم يتحلقون حوله حلقة ثم حلقة
فيقبل على هولاء فيحدثهم ثم يقبل على هولاء فيحدثهم فقام اليه كعب
حتى جلس بين يديه فوضع يده في يده ثم قال يا رسول الله ان
كعب بن زهير جاليستامن منك تائبا فهل انت قابل منه ان انا
جيتك به قال نعم فقال انا كعب بن زهير فقال الذي يقول
ما يقول ثم اقبل على ابي بكر فاستنشده الشعر فانشده ابو بكر
سقاك بها المامون كاسا البت فقال لم اقل هذا وانما قلت
سقاك ابو بكر بعاس رهية وانهلك المامون فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مامون والله فوثب عليه رجل من الانصار
فقال يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال
دعه عنك فانه قد جاءنا تائبا نازعا ثم انشد القصيدة
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسمع وفي رواية
ابي بكر بن الانباري انه لما وصل الى قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

رمى له النبي صلى الله عليه وسلم ببردة كانت عليه وان معاوية
رضي الله عنه بذل له فيها عشرة الاف درهم فقال اما كنت

اوثر

اوثر ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب
بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم وهي البردة
التي عند السلاطين الى اليوم وفي الاستيعاب لابن عبد البر انه
لما بلغ الى قوله انبئت ان رسول الله اوعدني البيت اشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله ان اسمعوا المقصد
الثالث في بيان ترتيب هذه القصيدة وسياقتها التي سبقت
عليها اعلم انه كان عادة اكثر شعراء العرب انهم اذا اتوا بقصيدة
مدح افتتحوها بالنسيب وهو المعبر عنه بالغزل وهو عند
المحققين من اهل الادب يشتمل على اربعة انواع الاول ذكر
ما في المحب من الصفات التي هي اسباب المحبة الدالة على محبته
كالشغف والنحول والذبول والحزن والارق ونحو ذلك الثاني
ذكر ما في المحبوب من الصفات التي هي المحبة سواء كانت حسية
كحمرة الخدود ورشاقة القد وما في معناها او معنوية كالجلالة
والخفر وما اشبه ذلك ويسمى هذا النوع من النسيب تشبيبا
ايضا الثالث ذكر ما يتعلق بالمحب والمحبوب جميعا من هجر
وصد وسلوي واعتذار ووفاء وخلاف ونحو ذلك الرابع
ذكر ما يتعلق بغيرهما مما بسببهما من ذكر الوشاة والعذال والرقبا
ونحوها قال والناظم رحمه الله تعالى قد اتى في قصيدته قبل التخلص
الى المدح بالانواع الاربعة وذلك ان القصيدة اشتملت على سبعة
وخمسين بيتا فابتدا بالنوع الاول بذكر حال نفسه فذكر ما عراه بسبب
الفراق في البيت الاول فقال بانت سعاد ثم اخذ في ذكر النوع الثاني

اسباب

وهو ما يتعلق بمحبوبته فشبهها بالظبي الموصوف بحسن الصفات
في البيت الثاني بقوله وما سعاد غداة البين اذ رحلوا البيت
ثم ذكر ثغرها وريقها وشبهه بالراح في البيت الثالث ثم ذكر
مزج الراح بالماء واستطرد لوصف ذلك الماء ثم الابطح الذي اخذ
منه ذلك الماء في البيت الرابع ثم اكمل وصف ذلك الابطح في
البيت الخامس ثم اخذ في ذكر النوع الثالث وما يتعلق بهما جميعًا
فذكر اخلافها للوعد وعدم قبولها النصح في البيت السادس بقوله
اكرم بها خلة لو انها صدقت البيت ثم اكمل ذلك في البيت السابع
ثم وصفها بالتلون في الود في البيت الثامن ثم وصفها بعدم الوفا
بالعهد في البيت التاسع ثم اكد ذلك فاخبر بان ما تعده اماني
لا حقيقة لها في البيت العاشر ثم ضرب لها مواعيد عرقوب مثلا
في البيت الحادي عشر ثم لام نفسه على التعلق بمواعيدها في
البيت الثاني عشر ثم ذكر بعد ما بينه وبينها من المسافة في البيت
الثالث عشر ثم ذكر انه لا يبلغها الا ناقة من صفتها كذا وكذا
فاطال في وصفها على عادة العرب في ذلك من اول البيت الرابع
عشر الى اخر البيت الثاني والثلاثين واستوفى في وصفها اربعة
عشر بيتا ثم اخذ في ذكر النوع الرابع وهو ما يتعلق بتغييرهما
بينهما فذكر الوشاة واستطرد الى اخر البيت الخامس والثلاثين
وهو اخر الغزل ثم تخلص الى المدح في البيت السادس والثلاثين
بقوله انبيت ان رسول الله اوعدني البيت واستطرد في ذلك
الى اخر الثامن والاربعين ثم خرج الى مدح المهاجرين من اصحابه

رضوان الله عليهم في البيت التاسع والاربعين بقوله في فتية من
قريش البيت واستطرد في ذلك الى اخر البيت السابع والخمسين وهو
اخر القصيدة ولم يتعرض فيها لمدح الانصار قبل لانه وجد في نفسه
من الذي قال دعني يا رسول الله وعدو الله اضرب عنقه على ما تقدم
ذكره فان صح ذلك فيكون قوله اتجالد للوقت ولا يبعد ذلك من
تحول الشعراء على ما تقدم ذكره خصوصًا وقد حصل له الامداد
النبوي والاسعاد المحمدي ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له بعد ذلك لو ذكرت الانصار بخير فانهم لذلك اهل فقال

من سره كرم الحياة فلا يزل ... في مقنب من صالح الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر ... ان الخيارهم بنوا الانصار
المكرمين السهمري باذرع ... كسوالف الهندي غير قصار
والبايعين نفوسهم لنبيهم ... للموت يوم تعانق وكرار
والناظرين باعين محمرة ... كالجمر غير كليلة الابصار
يطهرون بروية نسكالهم ... بدها من علقوا من الكفار

في اخر ابيات اخر تركتها خوف الاطالة واقتصرت على ذلك البيت الاول

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم اثرها لم يفد مكبول

يقال بانت المراة من زوجها اذا فارقته وهو معروف في عرف
الشرع بالطلاق غير الرجعي وسعاد اسم لمحبوبته الذي بنى
مطلع قصيدته هذه على التشبيب بها والتغزل فيها كما كان
المجنون يشبب بليلى وذي الرمة بمي وقيس بلبنى وكثير
بعزة الى غيرهم من المتيمين في الجاهلية والاسلام والقلب

في كلامه يحتمل معنيين احدهما ان يريد به الفواد وهو الظاهر
ومنه قوله تعالي وختم علي سمعه وقلبه ومحله من البدن الصدر
قال تعالي فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور
ومحله من الصدر الجانب الايسر منه قال بعض اهل الحقايق
وهذا هو السر في كون الطايف يجعل البيت علي يساره ويطوف
لان القلب في الجسد كالملك والبيت كالملك في الارض فاذا
جعل البيت عن يساره وطاف كانه قد جمع بين الملكين في
جهة واحدة قال اهل التشريح وهو جسم صنوبري الشكل
لحمي الجوهر له جوفان تحوي الدم والروح الحيواني ومنه ينصب
في الشرايين وهي عروق دقاق فيسري منها الي جميع
البدن وبينه وبين الدماغ شعبة دقيقة متصلة
بغشايه منبثة في جميع جرمه يدرك بها القوي الحيوانية
التي تنفعل بالانفعالات النفسانية كالغضب والخوف
والحزن والسرور بواسطة ان الحواس تدركها من الخارج
فتؤديها الي النفس فتتصل اثارتها بالقلب فينفعل عنها
قال الغزالي في احياء هذا القلب لا تعلق له بالاعراض
الدنية وانما يتعلق بذلك غرض الاطباء وهذا القلب موجود
للبهايم بل للميت فانه قطعة لحم لا قدر لها وهي من عالم
الملك والشهادة اذ تدركه البهايم بحاسة البصر فضلا
عن الادميين بل المراد بالقلب عندنا لطيفة ربانية روحانية
لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة

الانسان

الانسان وهو المدرك العالم العارف وهو المخاطب والمطالب والمعاقب
قال وقد تحار عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقتها بالقلب
الجسماني فان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف
بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة بها او التعلق بالمعلمات
الثاني ان يريد بالقلب العقل كما في قوله تعالي ان في ذلك لذكري
لمن كان له قلب ويكون المعني حينئذ ان عقله من شدة الحب وغلبة
العشق قد ضعف حتي صار كالولهان الهايم الذي لا يفيق ولا يحي
واليوم المراد به هنا مطلق الزمان كما في قوله تعالي واتوا حقه يوم
حصاده وقوله يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ونحو
ذلك والمتبول بفتح الميم واسكان التا المثناة من فوق وضم الباء
الموحدة الفاني من شدة الضنا والسقم تبله الحب واتبله اذا
اسقمه وتبلهم الدهر واتبلهم اذا افناهم وقوله متيم اثرها لم يفد
مكبول اي قلبي اليوم متبول علي ما تقدم متيم اثر سعاد ولم
يفد من اسرها مكبول في هواها والمتيم المستعبد الذليل
يقال تيمه الحب وتامه اذا استعبده وتامه اذله والمراد هنا
الاسير بدليل قوله فيما بعد لم يفد والاثر في كلامه بكسر الهمزة
واسكان الثا المثلثة محل المشي وموضع القدم من الارض ويقال
فيه اثر بالتحريك وقوله تعالي ونكتب ما قدموا واثارهم وقوله
لم يفد اي لم يقع له فداء من اسره الذي وقع فيه اما بمعني
انه لم تجد من يفديه ويخلصه من الاسر واما بمعني انه
لم تختر الفداء لان اسر المحبة احب اليه ويروي لم يشف

يقال

بدل يفد بمعني انه بعد شغل قلبه ومرضه لم يجعل له شفا منه
ويكون ذلك عايدا على قوله متبول لا على قوله متيم والمكبول بفتح
الميم واسكان الكاف وضم الباء تحتمل معنيين احدهما ان يراد
به القيد يقال كبل الاسير بالتخفيف وكبله بالتشديد اذا قيده
الثاني ان يريد به المسجون يقال كبله بالتخفيف اذا حبسه
في سجن او غيره والمعنى ان قلبه بسبب فراق محبوبته صار في
غاية الضنا والسقم والاسر والذل والقيد والسجن لا يجد له هربا
من الاسر ولا فكاكا من الرق وذلك انه لما كان مبني ابتداء هذه
القصيدة على الغزل والنسيب جريا على عادة اكثر الشعراء في ابتدا
قصايد المدح بمثل ذلك على ما تقدم ذكره في مقدمة هذا الشرح
وكان من جملة انواع النسيب ذكرها في الحب من صفات المحبة والشغف
ونحوه على ما تقدم بيانه مع ان تاجيج نار المحبة وتهييج بلابل
الشوق انما يعظم ويشتد عند حصول الفراق صدر كلامه
بذكر الفراق المقتضي ذلك ليترتب عليه ما ياتي عليه من لوازم
المحبة وعوارضها ولا شك ان فراق الاحبة من اشد الالام
واعظم الاحزان وناهيك ما اخبر الله تعالى به عن يعقوب
عليه السلام في فراقه ليوسف بقوله وتولى عنهم وقال يا اسفا
على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قيل ما غفت
عينا يعقوب عليه السلام من حين فراقه يوسف الى حين
لقايه ثمانين عاما ولله در القايل

اني لاكره ان انام فالتقي ... بك في الكرى خوف الفراق الثاني

ويروي ان الحسن رضي الله عنه بكى على ولده او غيره فقيل له في ذلك
فقال ما رايت الله تعالى جعل الحزن عارا على يعقوب ومن المعاني
المستحسنة ما قيل ان الشمس تحمر عند الطلوع لمعنى اللقا وتصفر
عند الغروب لمعنى الفراق والى ذلك اشار ابو العباس الطيبي بقوله

لا تركنن الى الفراق ... فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها ... تصفر من الم الفراق

ومن كلام بعضهم ما خلق الفراق الا لتعذيب العشاق وكان يقال
من حق الفراق ان يطير له القلب ويطيش معه العقل وتطيح معه
النفس ويقال هول السياق اهون من الم الفراق ومن كلام النظام
لو كان الفراق صورة لراعت القلوب وهدت الجبال ولجم الغضا
اهون من نار الفراق ولله در ابي تمام حيث يقول

لو حام مرتاد المنية لم يحد ... غير الفراق الى النفوس دليلا
اني نظرت الى الفراق فلم اجد ... للموت لو فقد الفراق سبيلا

وما احلى قول الطغرايي

اني لاذكركم وقد بلغ الظما ... مني فاشرق بالزلال البارد
واقول ليت احبتي عاينتهم ... قبل الفراق ولو بيوم واحد

ثم لما ذكر الفراق اشار الى ان قلبه عرض له بسبب ذلك عوارض
من منغصات الحب تاثيرها وخص ذلك بالقلب دون سايير
الجسد اشارة الى ان القلب هو المتاثر بالمحبة وعنه تنشا
عوارضها من الضنا والسقم وغير ذلك قال الزمخشري لا شي
في بدن الانسان الطف من الفواد ولا اشد تالما باذا اذا لمسه

وايضا فان القلب هو المعتبر والمعول عليه في الجسد وساير الاعضا
وجميع الجوارح جنوده والاعضا تخدمه فالعقل وزيره والفهم
عاضده والعينان رايده والاذنان طليعته على ان بعضهم
قدخالف فجعل ابتدا الحيا انما يبتدا عن القلب بواسطة الفكر
دون الحواس والى ذلك اشار بشار بقوله

وما تبصر العينان من موضع الهوى ولا تسمع الاذنان الا من القلب

ثم قد ذكر انه عرض لقلبه بسب الفراق اربع عوارض الاول
التبل وهو المراد بقوله متبول فان حملنا القلب في كلامه على
الفواد كان المراد بالتبل الضنا والسقم كما تقدم ذلك وذلك انه
استولى عليه الحب وغلب عليه العشق وعراه السهر وتقليل
الطعام والشراب واستولى عليه الفكر والوسواس فربما عرض له
من ذلك رقة اثر الضنا والسقم في قلبه وسرى منه الى ساير
بدنه قال الاحنف بن قيس بينما انا اطوف واذا بثلاث جوار
اتراب قد نزلن احداهن الي وقالت يا ابا بشر انت القايل

ماذا لقيت من الهوى وعذابه فتحت علي بليلة من بابه

فقلت نعم قالت كذبت والله لو كنت عاشقا لكنت مثلي ولشغلت
عن اشاح علي ربة من اللحم وانشات

اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني فمالي اري الاعضا منك كواسيا
فلا حبي يلصق الجلد بالحشا وتخرس حتى لا تجيب المناديا
بل ربما ادى به الحب الى الموت والهلاك كما اتفق لكثير
من المتيمين وكتاب مصارع العشاق لابي جعفر بن السراج

وطوق

وطوق الحمامة لابن حزم مشحونان باخبارهم من ذلك ولله در الشيخ
شرف الدين ابن الفارض حيث يقول

وعشى سالما فالحب راحته عنا فاوله سقم واخره قتل

وان حملنا القلب في كلامه على العقل كان المراد بالتبل ضعف
العقل ويكون المعنى انه انتهى به الحب الى الوله والهيام بحيث اختل
عقله فصار كالمجنون الهايم على وجهه الذي لا يدري اين يقصد ولا
اين يتوجه وهذا موافق لما يقوله الاطبا من ان العشق نوع من
المالخوليا والى ذلك اشار قيس بقوله

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق اعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون في الحين

ثم قد تقدم ان المراد باليوم مطلق الزمن وحينئذ فيكون المراد انه
صار في الضنا والسقم والهيام والوله على ممر الزمان وتعاقب
الايام العارض الثاني وهو الاسر والذل والرق واليه اشار بقوله
متيم وذلك ان المحب اذا تعلق بالمحبوب واشتغل خاطره
به صار قلبه في يد محبوبه يتصرف فيه كيف شاء ويديره في قبضته
كيف شاء فليس له منه مخلص ولا الى غيره منه مهرب فاشبه
الاسير المستعبد في يد من اسره والى ذلك يشير المستعين
بالله بن الحكم الاموي احد خلفاء الاندلس حيث يقول

عجبا يهاب الليث حد سناني واهاب لحظ فواتر الاجفان

واقارع الاهوال لا متهيبا منها سوى الاعراض والهجران

وتملكت نفسي ثلاثا لا كما لدها زهر النجوم نواعم الابدان

حاكمت فيهن السلو الي الضنا ٭ فقضي بسلطان علي سلطاني
فاحن من قلبي الحما وتركتني ٭ في عنفوان ملكي كالاسير الفاني

ثم انشد علي الرواية المشهورة وهي متيم اثرها كان المعني ان قلبه صار هقتفيا لاثرها يرحل لرحيلها ويقيم باقامتها كما ان العبد الذي في قيد الرق وذل العبودية يسير بسير سيده ويقيم باقامته ولله در القائل

قال لي من احب بالبين قد جد ٭ ودمعي هواصل لشهيقي
ما الذي في الطريق تصنع بعدي ٭ قلت ابكي عليك طول الطريق

فعند ذلك بقي استمراره في الاسر والرق وهو المراد بقوله لم يفد فانحملناه علي ان منع علي انه لم يجد من يفديه فيخلص من الاسر فاذا طال اسره ودام رقه مع ما هو عليه من الضنا والسقم انضم الي ما هو فيه من ذلك الم اليأس من الخلاص فزاد الما الي المه وشجنا الي شجنه وان حملناه علي ان منع الفداء لعدم اختياره له كان المعني انه في العشق ملاذ تحمل علي الصبر علي الابد وتبعث علي الازدياد منه وقد قال الجنيد رضي الله عنه العشق الة رحمانية لالهام شوقي اوجبهما كرم الله تعالي علي كل ذي روح لتحصل اللذة العظمي التي لا يقدر علي مثلها الابتلاء الالفة وما احسن قول القائل

ومن عجبي اني يجرح وكلما ٭ رمتني بسهم لحظها يلذ لي

العارض الرابع التقييد وهو المراد بقوله مكبول وذلك ان فيه تاكيداً لبعد الخلاص اذ الاسير اذا كان عريا عن القيد ربما

ربما امكنه الهرب اذا اختار الفرار فاذا كان مقيدا ضعفت قوته وقلت حيلته وايضا فان القيد زيادة مذلة واهانة واعلم ان هذه العوارض الاربع التي ذكرناها ترجع الي وصفين من اوصاف الحب وهما التبتل والتتيم والعارضات الاخيران وهما عدم الفداء والكبل من لوازم التتيم الذي هو الاسر ولما كان التبتل والتتيم من اعلي مراتب الحب اقتصر في تغزله عليهما واكتفي بهما عما دونهما فان قيل كيف ساغ ان يتغزل بامراة في قصيدة انشدها بين النبي صلي الله عليه وسلم فالجواب انه جري في ذلك علي عادة العرب في اشعارهم وسماع النبي صلي الله عليه وسلم لذلك واقراره عليه دليل الجواز ويحتمل انه قصد امراة معينة كانت حليلته وبانت منه فتغزل فيها وقد نص العلماء رضي الله عنهم علي انه انما يمتنع التغزل اذا كان لشخص معين امراة اجنبيه اما اذا كان لحليلة او غير معين فلا منع فيه كما تقدم علي ان بحثهم كانت غير مفضية الي الخنا والقبيح ويحتمل انه لم يقصد بذلك امراة معينة بل جري فيه علي اكثر عادة الشعراء في ذلك ولا منع فيه كما تقدم ولذلك هلك كثير من المتيمين في عشق من احبوه صبراً عن الوصال وتقديما للمروة علي الشهوة وربما اجتمع الواحد منهم بمن يحبه في الخلوة ثم لا يكون بينهما امر عفة من الرجال وصيانة من النساء وقد قيل لرجل من بني عذرة ما بال الرجل منكم يموت في هوي امراة فقال لان فينا جمالا وعفة وقد ذكر المرزباني ان اعرابيا قال لعلقت امراة كنت اتيها فاحدثها وحاجرت بيننا ريبة قط الا اني

بدي

رايت بياض كفها في ليلة ظلماء فوضعت يدها على يدي فقالت مه
لا تفسد ما صلح فانه ما نكح الحب الا فسد ولله در القايل
حيث يقول

انزه في روض المحاسن مقلتي ... وامنع نفسي ان تنال المحرما

ولذلك نص العلماء رضي الله عنهم على ان الميت عشقا معدود من
الشهداء كالمبطون والمطعون والغريق ونحوهم محتجين بما رواه
الدارقطني والدارمي في جزئيه من حديث ابن عباس رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عشق وعف فكتم
فمات فهو شهيد وان كان الحديث فيه ضعف والى هذا اشار
ابو القاسم القشيري بقوله

ان الحب اذا تو في صابرا ... كانت منازله مع الشهداء

البيت الثاني

وهاشعاد غداة البين اذ رحلوا ... الا اغن غضيض الطرف مكحول

اي وهاشعاد غداة البين اذ رحلوا وهي معهم الا ظبي اغن الصوت
غضيض الطرف مكحول العين وشعاد هي محبوبته التي اشار اليها
في البيت الاول والغداة مقابل العشي قال تعالى يدعون ربهم
بالغداة والعشي ويراد بهما مطلق الزمان كما تقدم في قوله
فقلبي اليوم متبول وكلامه في البيت يحتملها والبين الفراق
واتى في قوله رحلوا بضمير الجمع وان كان المحدث عنه هو شعاد
فقط اشارة انها رحلت مع قومها ويحتمل انه قصد تعظيمها فعبر
عنها بلفظ الجمع والاغن من صفات الظبي فصار لغلبة الاستعمال

كانه

كانه مختص به وغضيض بمعنى مغضوض كذبيح بمعنى مذبوح
وكسير بمعنى مكسور ونحو ذلك والطرف المراد به هنا العين ثم
الاصل في غض الطرف ترك التحديق واستيفاء النظر وكلام البيت
يحتمل امرين احدهما ان يريد به كسر الجفون وفتورها على عادة
الشعراء في مثل ذلك الثاني ان يريد به الحياء والخفر وكلاهما يتمدح
به على ما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى والمكحول وصف الظبي
الاغن وهو اما من الكحل بفتح الكاف والحاء وهو سواد يعلو العين
واما من الكحل بضم الكاف وهو الاثمد والمعنى في البيت ظاهر وحاصله
انه لما ذكر نفسه وما اعقبه الفراق من الضنك شرع في وصف
ذكر محبوبته التي سواها وما اشتملت عليه من المحاسن التي
لا يقدر معها على الاسف على فراقها وتلاف المهجة في محبتها فشبهها
بظبي موصوف باحسن الصفات واعاد ذكرها للتعظيم كما في قوله
تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين ولان اسم المحبوب مما
يلتذ بذكره ولله در القايل

يا من اذا ذكر اسمه في مجلس ... لذ الحديث به وطاب المجلس

وخص التشبيه بالظباء جريا على عادة العرب في التشبيه بما لخاطتهم
لها بواسطة سكناها الفلوات وبطون الاودية اذ كل احد انما
يقع له التشبيه في خزانة خياله الا ترى تشبيهات بن المعتز
في شعره انما هي بالليالي والمواقيت واصناف الجوهر وتشبيهات العرب
انما هي بالشيح والقيصوم وازهار البادية وهاشا لها واوضح
شاهد لذلك ما اخبر الله تعالى به حكاية عن الهدهد بقوله

الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض فعبر باخراج
الخبا دون علم الغيب وان كان علم الغيب اعم منه اذ كان من عاداته
اخراج الخبات لسليمان عليه السلام حتى يقال انه ينظر الماء
تحت الارض ولذلك تراه يضرب بمنقاره الارض فيخرج الدودة
من داخلها فيأكلها واعلم ان التشبيه بالظبا انما هو من استحسانها
في جنس الوحش لا انها احسن من الادمي في نفس الامر فقد قال
الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال عز وجل صوركم
فاحسن صوركم ولذلك قال الفقهاء رحمهم الله تعالى لو قال لزوجته
ان لم تكوني احسن من الشمس والقمر فانت طالق لم تطلق وان
كانت زنجية سوداء ثم لما شبهها بالظبي وصفها بثلاث
صفات تستحسن في الظبي الصفة الاولى الغنة في الصوت وهي
مما يلتذ بسماعه ولذلك قيل في وصف الرياض الحسنة روضة غنا
من حيث ان صوت الرياض في الشجر الملتفة يشبه الصوت
الخارج بغنة وقد جاء في وصف الحسين عليه السلام انه كان
فيه غنة حسنة واعلم ان العشق كما يقع بواسطة النظر
كذلك يقع بواسطة سماع الصوت فقد قيل ان سبب المحبة
ثلاثة اشياء رؤية صورة او سماع نغمة او سماع وصف كما
حكي انا ابا تمام الطائي سمع جارية تغني بالفارسية فتشجاه
صوتها ولم يفهم كلامها فانشد

فلم افهم معانيها ولكن ... شجعت قلبي فلم احمل شجاها
فلكنت كانني اعمي معنا ... بحب الغانيات ولا يراها

قال

قال ابو هلال العسكري في كتابه الاوائل راع الصوت عجب منه ما يقتل
كصوت الصاعقة ومنه ما يسر ويهيج حتى يرقص ويقلق ومنه ما يبكي
ومنه ما يزيل العقل ويورث الغشي وبه ينام الصبي وتستخرج
الحية من جحرها واهل الصناعات اذا خانوا الملال تُرغوا وتسقي
الدواب بالصفير وتصغي باذانها اذا غنا لها المغاري وتزيد
الابل في مشيها اذا حدا لها الحادي وفي امور اخر ذكرها من تاثير
الصوت وقد قيل انه صدقة الحادي سأله المنصور او غيره من
الخلفاء عما بلغه من حسن حدايه فقال ان تعطش الابل ثلاثا ثم
احدوها فتترك الشرب وتصغي الى صوتي فامر بالابل فعطشت وا
حضرت بين يديه ونودي لها بالماء فلما وضعت افواهها في الما
امر صدقة فحدا لها فقطعت الشرب ورفعت رؤسها
اليه فسكت فعادت الى الشرب ثم حداها فتركت الشرب واقبلت
تفعل بها ذلك هرارا فقال الخليفة قتلتها عطشا ويلك دعها
تشرب وعن عمرو الوادي قال بينما انا اسير بين الروحاء والعرج اذ سمعت
انسانا يغني غناء لم اسمع مثله فاصغيت اليه فاذا هو يغني من شعر
كثير

وكنت اذا ما جيت لبلى زورها ... ارى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخمرات البيض ود جليسها ... اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

فكدت اسقط عن راحلتي طربا وقلت لا لغير صاحب هذا الصوت
لو يذهب نفسي فقصدته الى ان وصلت اليه فاذا هو راعي
غنم فسالته ان يعيد علي الصوت فقال لغير ولا حضر في قربي اثر ركبه

ما اعدته ولكني اجعله قراك فربما تزعت به والله وانا جيعان
فاشبع وظمان فاروي ومستوحش فاسلي وكسلان فانشط
قال فاعادهما علي حتى حفظتهما عنه فوالله ما كان لي زاد غيرهما
حتى قدمت المدينة قلت واخبرني بعض الاصحاب عن
اخيه انه سار من مكة الى اليمن ومعه رفيق من بوادي اليمن
فمر في طريقه بشجرة فوق الذراع فوقف تجاهها وصفق وغنى
لها بغنا مخصوص فجعلت تتمايل يمينا وشمالا فلما سكت سكتت
وكنت في شك من ذلك الى ان اخبرني من اثق به ان
الشيخ ناصر الدين بن المليق رحمه الله قبل ان يلي قاضي
القضاة بمصر وكان ساكنا بمنظرة بغيط السناني بالقرب من
بولاق وكان فيه شجرة من هذا النوع وكان يقف امامها
ويصفق لها بيديه ويغنيها بابيات فتتمايل يمينا وشمالا
ثم سكن المنظرة بعده رجل اخر من اهل العلم فعاد يفعل بتلك
الشجرة كذلك ثم اخبرني بعض اهل بلاد اليمن بالديار
المصرية ان هذه الشجرة موجودة عندهم الى الان ولما
كان امر الصوت من التاثير على ما ذكرنا حق له ان سغزل بالغنة
التي هي احد الاصوات الصفة الثانية غض الطرف فان حملناه على
كسر الجفون وفتورها كان ذلك من باب الزيادة في الحسن والجمال
اذ النفوس تميل الى ذلك في الغالب وترغب اليه ولهم تزل
الشعراء في الحديث والقديم تشغزل في ذلك وقد قيل اغزل
بيت قالته العرب قول جرير

ان

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله اركانا
وان حملناه على الجبان الخفر كان ابلغ اذ الجبان مما يقدح به عقلا وشرعا
وقد مدح الله الحور بقوله قاصرات الطرف عين فاخبر بانهن قاصرات
الطرف فيهن ليس لضعف في العيون ولا لمرض في الجفون واخر تعالى
بعض الطرف حيا وعفة فقال تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم
وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن الصفة الثالثة
سواد العيون وهو المراد بقوله مكحول فان جعلناه من الكحل الذي
هو سواد جفون العينين من غير تكحيل فهو في غاية المدح لاستغنا
عن التكحيل وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم في عينيه كحل بالجملة
فسواد العيون مما يستحسن ولله در القايل

تغار الشمس منهن حين تبدو ويغضين البان في خضر البرود
باطرافهن الحاء حمر والحاظ بيض الهند سود

هو الكمال من الحسن في الفتور في الجفون واعلاه رتبة في الجمال واشد
تاثيرا في القلوب والى ذلك اشار ابو اسحاق الغزي بقوله

راشق الفتور له سهما فاخطاه حتى تيقن له سهم من الكحل

وان جعلناه من التكحل بالاثمد لكونه يكسو العين سواد
فالذي يظهر انه يريد انضمام ذلك الى الكحل الخلقي لانا التكحل الفقد
الكحل في العينين لان ذلك نقص في الحسن وهو خلاف المعهود
ولله در القايل

زادت على كحل العيون تكحلا ايشام نصل السيف وهو تقول

فان قيل لم خص تشبيهها بالظبي حالة الرحيل فالجواب من وجهين
الاول يحتمل انه اشار بذلك الى صفة رابعة مما يمدح بها وهي
انها وان كانت محذرة لا ترى الا عند الرحيل لاقتضايه
البروز من الخباء الخروج من الحذر فعلى ذلك اول وقوع
بصره عليها وعلى ذلك ينطبق حمل قوله في البيت غضيض الطرف
على الحياء والخفر ثم انه يجوز انه قد اجبها على الوصف وعشقها
على السماع فان العشق قد يقع بمثل ذلك على ما تقدم ذكره
ولذلك نهي النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراة لزوجها كانه
ينظر اليها خشية من تعلق قلبه بها وميل نفسه اليها
ولله در بشار حيث يقول

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة ٭ والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم ٭ الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

ويجوز ان يكون قد اجبها على حالة وقوع بصره عليها فان النظر
يزيد العشق ويزيد المحبة قال بعض الاعراب العشق نبت
بذره النظر وماده المحاورة وثماره الوصل وحصاده التمني
ومن كلام بعض الحكماء المراة تمر بالرجل فتتحرك نفسه بمجرد
النظر اليها فان كرر النظر اليها ازداد حبه فيها فان جلس
حتى يراها كان الذي به اضعاف ما كان فان نظرت اليه نظرة
افتتن بها وصار في جملة العاشقين وقد قيل من اطلق ناظره
اتعب خاطره ومن كثرت لحظاته دامت حسراته ولله در
القايل

وكنت

٭ وكنت اذا ارسلت طرفك رايدا ٭ لقلبك يوما اتعبتك المناظر ٭
٭ رايت الذي لا كله كنت قادرا ٭ عليه ولا عن بعضه انت صابر ٭

الثاني ان يكون خص تشبيهها بالظبي بحالة الرحيل مبالغة في
حسنها فان الشخص عند الرحيل يكون في ارث حالاته مع
ما ينضم اليه ذلك من التاثر بفراق الوطن خصوصا اذا كان مع ذلك
فراق حبيب وتوديع صديق فان قيل لم قدم وصف الغنة على
وصف غض الطرف وغض الطرف على وصف الكحل فالجواب ان
الغنة من صفات الصوت والغالب سماعه مع عدم الرؤية
ثم تلاه بوصف غض الطرف الذي لا يمكن النظر اليه الا مع انطباق
الجفن ثم اتبعه بذكر الكحل الذي لا يمكن رويته الا مع انفتاح
العين وكانه لما سمع صوتها استحلاه فدعاه ذلك الى رويتها
فاحتال على نظرها فراى جفنها منسدلا لغلبة الحيا عليها
فدعاه ذلك الى روية داخل اجفانها فسارقها النظر حتى راها
فراى في كل الحالات ما ابهج خاطره وهيج بلابله والله اعلم

البيت الثالث

٭ تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت ٭ كانه منهل بالراح معلول ٭

قوله تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت اي تجلو ثغاد عوارض
ثغر ذي ظلم اذا ابتسمت وتجلو معناه تكشف يقال جلوت
العروس اي كشفته والعوارض جمع عارض واختلف في معناها
فقيل هي الاسنان كلها وهي اثنتان وثلاثون سناسنة عشر
من اعلى وستة عشر من اسفل وهي اربع ثنايا اثنتان من اعلى

وثنتان من اسفل متوسطة بين الاسنان واربع رباعيات
بفتح الراء وتخفيف ما بعد العين ثنتان من اعلا وثنتان من
اسفل الجانب كل ثنية رباعية واربعة انياب اثنان من اعلا
واثنان من اسفل الجانب كل رباعية ناب واربعة ضواحك
اثنان من اعلا واثنان من اسفل الجانب كل ناب ضاحك
واثني عشر رحا ستة من اعلا وستة من اسفل الجانب
كل ضاحك ثلاث رحي واربعة نواجذ بفتح النون وكسر
الجيم الي جانب كل ثلاث رحي ناجذ وهو ضرس الحلم الذي في اقصي
الاسنان وقيل هي الضواحك خاصة وقيل الضواحك والانياب
وقيل الضواحك والرباعيات والانياب وقيل من الثنايا الي اقصي
الاسنان وذي بمعني صاحب والظلم بفتح الظاء هي الاسنان
وبريقها وقيل رقتها وشدة بياضها قال الجوهري هو كالسواد داخل
عظم السن من شدة البياض والابتسام الضحك بغير صوت وهو
خلاف القهقهة قوله كانه منهل بالراح معلول اي كان ذلك الثغر
شارب خمر منهل بالراح معلول بها والمنهل بضم الميم وفتح الهاء الشارب
مرة اولي والراح بالراء والحاء المهملتين من اسماء الخمر والمعلول
بفتح الميم واسكان العين الشارب مرة ثانية والاصل في ذلك
ان الابل اذا وردت الماء وشربت نحيت عنه الي مكان تقف
فيه حتي يشرب غيرها ثم تعاد الي الماء فتشرب ثانيا فيقال
شربت الابل عللا بعد نهل ومعني البيت ان سعادا اذا
ابتسمت تكشف مبسمها عن اسنان ذات ماء وبريق وذات بياض

ورقة

ورقة ولطيب ثغرها كانها شارب راح شرب منه مرة بعد اخري وذلك
انه لما كانت الغنة وغض الطرف وكحل العين مما يستحسن في الظبا
المستحسنة بحسن الوحش شبه سعادا بظبي ثم وصفه
بهذه الصفات علي ما تقدم ذكره في البيت الذي قبله ولما
كان الثغر مما يستحسن في البشر دون الظبي عاد القول به الي
سعاد فذكره ولان السبب الموجب لرؤية ثغرها هو الابتسام
مشيرا الي ذلك بوصفين من اوصاف المدح الصفة الاولي
طلاقة الوجه وبشاشته اذ الشخص قد يكون في غاية الحسن
والجمال الفايق ولكنه قطوب الوجه عبوسه فيودي به
ذلك الي ذهاب بهجة حسنه ورونق جماله وما احسن قول
السري الرفا

بروحي من رد التحية ضاحكا   فجدد بعد الياس في الوصل مطمعي

وايضا فان طلاقة الوجه تدل علي الكرم وعبوسته تدل علي اللوم
والي ذلك يشير بعضهم

تلقي الكريم فتستدل ببشره   وتري العبوس علي اللئيم دليلا

الوصف الثاني الحيا والخفر فان الضحك برفع الصوت بالقهقهة
دليل الخفة وسقوط المروة ولا يليق بذوي الجلال والخفر ولذلك
وردت الشريعة بذم ذلك والنهي عنه وقد جاء في صفته صلي الله
عليه وسلم ان ضحكه كان تبسما والي مثل ذلك يشير الفرزدق في
قصيدته التي مدح بها زين العابدين علي ابن الحسين بن علي
بن ابي طالب رضي الله عنهم بقوله

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم

فجعل التبسم غير قادح في الحياء لا مزيل للهيبة وغايته الطلاقة والبشر كما قيل

بطلاقة ابدت بصفحة خده ... فلق الصباح فمن له عينان

ثم لما ذكر ان ثغرها يبدو وينكشف عند مبسمها وصفه بانه ذو ظلم فان فسرنا الظلم بماء الاسنان وبريقها كان الممدوح بها من وجهين الاول ان ماء الاسنان من الاوصاف المستحسنة وما زالت العشاق تستعذبه وتستلذه وتستطيبه ولله در القايل

اهيم الى العذب من ريقه ... اذا هيم العاشقين العذيب

شهدت عليه وما ذقته ... حقيقا ولكن من الغيب غيب

الوجه الثاني ان بريق الاسنان مما يمتدح به ويرغب اليه وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم برقة الثنايا وهما احسن قول النميري

كان وميض البرق بين ثناياها ... اذا كان من بعض البيوت ابتسامها

وان فسرنا الظلم برقة الاسنان وشدة بياضها كان الممدوح به من وجهين الاول ان رقة الاسنان مما يستحسن في الاسنان ويعد من صفة الجمال وقد يستحسن في المراة رقة اربعة منها وخصرها وانفها وبنانها وغلظ اربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها وهاهنا لك وسعة اربعة جبينها وجبهتها وعيناها وصدرها وضيق اربعة فمها ومنخرها ومنفذ اذنها وماهنا لك وطول اربعة

الطرفها

اطرافها وقامتها وشعرها وعنقها وقصر اربعة يدها ورجلها ولسانها وعينها يعني انها تقصر يدها عن بذل ما في بيتها ورجلها عن الخروج من منزلها ولسانها عن الاستطالة به وعينها عن النظر للاجانب الوجه الثاني ان بياض الاسنان مما يستحسن في الانسان وتتطلع اليه النفوس وتتبعث اليه الخواطر ولله در القايل

تفتر عن لولو رطب وعن برد ... وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

فشبه ثغرها باللولو لشدة بياضه ونقايه ففيه دلالة على وصفين اخرين هما يستحسن ويرغب اليه الاول حداثة السن فان الانسان كلما طعن في السن تغير لون اسنانه ومال عن البياض الى الصفرة او الخضرة الثاني النظافة لان تغير السن انما يصدر عن ترك السواك وعدم تعهد الاسنان وقد روي ان بعض السلف راى زوجته تخلل اسنانها في الصباح فطلقها فسالته عن السبب فقال ان كان عن شيء بقي من فضلة عشاك فانت قذرة وان كان عن عشاء استعجلتيه ليومك فانت شرهة فقالت له انما ذاك لنفاثة من السواك تخللت منها وما احسن قول الشيخ شرف الدين ابو صيري رحمه الله تعالى يمدحها النصاري مشيراً الى خضرة اسنانهم وصفرتها فقال مقلحة اسنانهم فكانما ... اصاب بها الرتكان اجاركبر با

ولما وصف ثغرها بانه ذو ظلم على ما تقدم شبهه بشارب راح شرب منها مرة بعد اخرى وهو يحتمل التاويلين احدهما ان يريد

ان ريقها امتزج بالخمر واختلط به واكتسب من معانيها وصار ده
شبيها بها الى ذلك اشار بعضهم بقوله ٥ ٥ ٥ ٥
٥ تدير لنا من راسها عقارا ٥ قريب العهد من كاس مدار ٥ ٥ ٥
ويحتمل ان يريد ان في فمها طعم الخمر كما قال بعضهم ٥ ٥ ٥
٥ اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة ٥ معتقة مما تجيء به التجر ٥
والتجر جمع تجار ككتب جمع كتاب ويحتمل ان يريد هما جميعا اي ان
فيه رايحة الخمر كما قال بعضهم ٥ ٥ ٥ ٥ ٥
٥ لذكتها تحكي المدامة ريقها ٥ وكالشهد بل احلا من الشهد ريقها ٥
ويحتمل ان يريد هما معا الثاني ان يريد ان ريقها نفسه في معنى
الخمر وعلى ذلك مدار اكثر الشعر في اشعارهم ولله در القايل
٥ وبالله ما ادري لاية علة ٥ يدعون هذا الراح باسم الراح ٥ ٥
٥ الريحها ام روحها ام ريحها ٥ ام لارتياح نديمها المرتاح ٥ ٥
فان قيل كيف ساغ ان يتغزل في مثل هذه القصيدة بذكر الخمر التي هي ام
الخبايث مع كون تحريمها سابقا على اسلامه لان تحريمها كان في
سنة ثلاث من الهجرة واسلامه بعد منصرف النبي صلى الله عليه
وسلم من الطايف في سنة ثمان فالجواب انه جرى في ذلك
على عادة العرب في اشعارهم مع قرب عهده بالاسلام كما تقدم
في الكلام على التغزل بالمراة وتعرضه لذكر الراح ومتعلقاتها
في هذا البيت والذي يجوده فعل الاديب الذي يخوض في كل
فن وقد حكى الحريري في درة الغواص عن حامد ابن العباس
انه سال عليا ابن عيسى في ديوان الوزارة عن دواء الخمار فاعرض

عن كلامه وقال ما انا وهذه المسيلة فخجل حامد ثم التفت الى قاضي
القضاة ابي عمر وسالة عنه فتنحنح لاصلاح صوته ووضع
كما على كمه ثم قال قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا
على كل صنعة بصالح اهلها والاعشى هو صاحب هذه
الصناعة في الجاهلية وقد قال ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥
٥ وكاس شربت على لذة ٥ واخرى تداويت منها بها ٥ ٥
ثم قاله ابو نواس في الاسلام فقال
٥ دع عنك لومي فان اللوم اغراء ٥ وداوني بالتي كانت هي الداء ٥
فاسفر وجه حامد وقال لما ضرك يا بارد لو اجبت ببعض ما
جاب القاضي وقد استظهر في جوابه عن المسيلة بقول الله
تعالى ثم بقول رسوله صلى الله عليه وسلم ثانيا ثم بكلام
شعراء الجاهلية والاسلام وادى المعنى وبرا من العهدة
فكان خجل عيسى من هذا الكلام اكثر من خجل حامد لما ابتداه
بالمسيلة والله اعلم بالصواب البيت الرابع ٥
٥ شجت بذي شبم من ماء محنية ٥ صاف بابطح اضحى وهو مشمول ٥
قوله شجت بذي شبم من ماء محنية صاف اي شجت تلك
الراح بماء ذي شبم من ماء محنية صاف عن الكدر اي مزجت
مزجا يكسر سورتها والاصل في الشج الشق والكسر
ومنه الشجاج في الراس وذي في البيت بمعنى صاحب
كما في البيت قبله والشبم بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة

شدة البرد والحمية بفتح الميم واسكان الحا وكسر النون وفتح
الياء اخر الحروف بعدها تا التانيث ما انعطف من الوادي
اخذا من قولهم حنوت القوس اذا عطفته للاتيار والصافي
خلة فالكدر قوله بابطح اضحى وهو مشمول اي ذلك الماء
كان بابطح واضحى ذلك الماء وهو مشمول والابطح مسيل الماء
الواسع الذي فيه دقاق الحصا ومنه سمي مسيل مكة بالابطح
واضحى اي دخل وقت الضحى والمشمول بفتح الميم واسكان الشين
الماء الذي ضربته ريح الشمال حتى برد ومنه قيل خمرة مشمولة
اذا كانت باردة الطعم ومعنى البيت ان الماء الذي مزجت به
تلك الراح بارد صاف اخذ من منعطف الوادي في مسيل
واسع تربته دقاق الحصى وكان اخذه منه في وقت الضحى
بعد ان ضربته ريح الشمال حتى برد وذلك انه لما شبه
ثغرها بمنهل معلول بالراح على ما تقدم في البيت قبله شرع
في وصف الراح التي شبه بها الثغر فوصفها اولا بانها مزجت بالماء
واعلم ان الخمر اذا بقيت على صرافتها من غير خلط ماء قيل لها
صرف فان صب عليها الماء قيل ممزوجة قل المزج او كثر فان
مزجت حتى رقت ولطفت ولم تكسر سورتها قيل مستعشعة
فان زيد حتى انكسرت سورتها قيل شجت فان زيد على ذلك
حتى ذهبت قوتها قيل قتلت وقد اختلف شراب اهل الاولى
اخذها صرفا او ممزوجة فذهب قوم الى اختيار الصرف منهم
حسان بن ثابت رضي الله عنه حيث يقول في زمن الجاهلية

ان التي ناولتني فرددتها ۞ قتلت قتلت فهاتها لم تقتل ۞
كلتاهما حلب العصير فعاطني ۞ بزجاجة ارخاهما للمفصل ۞
انه رد الكاس على ساقيها حيث قتلها بالمزج بقوله ان التي
ناولتني فرددتها قتلت ثم دعا عليه فقال قتلت ثم طلبها
صرفا بقوله فهاتها لم تقتل ثم سوى بين الصرف والممزوجة
في الرجوع الى اصل واحد وهو العصير بقوله كلتاهما حلب
العصير ثم طلب اشدهما تاثيرا في السكر بقوله فعاطني
بزجاجة ارخاهما للمفصل بكسر الميم وفتح الصاد يعني اللسان
سمي بذلك لفصله بين الحق والباطل واصرح منه في المقصود
قول ـــــ الاخر

واصرف بصرف الراح عنك الاسى ۞ وصرف الهم ولا تكتئب ۞
والاشعار في ذلك كثيرة خارجة عن الحصر وذهب اخرون الى
اختيار الممزوجة الا ان الشعر لم يستعملوه الا على سبيل الوصف
كما في قوله شجت بذي شبم وكقول ابي نواس ۞ وحمراء قبل
المزج صفراء بعده ۞ وقول الشيخ شرف الدين بن الفارض رضي الله عنه
۞ لها البدر كاس وهي شمس يديرها ۞ هلال وكم يبدو اذا ما مزجت بنجم ۞
وما احسن قوله في قصيدته الميمية جامعا بين المذهبين
حاويا كلا الطرفين

عليك بهما صرفا وان شئت مزجها ۞ فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم ۞
فان قيل لاي معنى اختار ذكر الممزوجة على الصرف في كلامه حيث
قال شجت فالجواب من وجهين الاول ان الصرف من حيث

الطب حار يابس والممزوجة حار رطب فالمزج ينقلها
من اليبوسة الى الرطوبة ويردها الى التعديل بعد الافراط
الثاني ان الصرف قد يودي الى زوال الشعور وذهاب
الاحساس فيصير الى حيث لا يدري ما يقال عنده ولا
ما يقال له ولا يدرك ما يجري في مجلسه فتذهب بذلك
نشاتها ويبقى خمارها ويرجع شاربها من حال اليقظة
الى حالة النوم ومن الصحة الى حال تشبه الموت فان قيل
لم خص بالشيح دون سائر انواع المزج المتقدمة فالجواب
من وجهين الاول ان الشيح اعدل حالات المزج والمشعشعة
لم تنته الى حد يكسر سورتها لمقارنتها الصرف في افعالها
والفتل يذهب سورتها بالكلية فتصير لانشاط فيها
والشيح يذهب حد السورة ويبقى منها بقية تحصل منها
النشوة الثاني ان بين الشيح في الراس والشيح في الكاس مناسبات
ظاهرة وخفية فاما الظاهرة فهي ان شيح راس الكاس يوجب
خروج الحباب منه وظهوره طافيا على سطحه كما ان شيح راس
الانسان يوجب خروج الدم منها وظهوره على سطح الجلد
والى هذا اشار عكاشة الاعمى بقوله

واذا المزاج علا فشيح جبينها ... نغثت بالسنة المزاج حبابا

واما الخفي فهو ان اعلا الشجاج في الراس الموضحة وهي
التي توضح العظم والواجب فيها خمس من الابل ثمران كانت
عمدا اقتص فيها من الجاني فان عفي فيها واقتصر على الدية

وجب عليه خمس من الابل وان كانت خطا او شبه عمد تحملتها
العاقلة عنه كما تتحمل دية النفس في الخطا والكاس في يد
النديم يعقله باصابعه الخمس بمعنى انه يمنعه من الحركة
والعقل في اصل اللغة المنع ومنه سميت العاقلة لمنعها
الجاني عن الوقوع في مثل هذه الجناية والى هذا المعنى يشير
الشيخ صدر الدين بن الوكيل الشافعي بقوله

ما الكاس عندي باطراف الانامل بل ... بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب
شبحت بالماء منها الراس موضحة ... فحين اعقلها بالخمس لا عجب

ثم لما ذكر انها مزجت بالماء وصف الماء الذي مزجت به بستة
اوصاف الوصف الاول كونه ذا شبم وهو الشديد البرد على
ما تقدم تفسيره وذلك ان البرد في الماء مما يستطاب به
شرب الماء القراح ويستعذب وقد ورد في الحديث خير الماء
الشبم يعني البارد فاذا مزجت الخمر به كانت اطيب والذ
كما في الماء ضرورة والى ذلك يشير بنصيب

كان علي انيابها الخمر شبمها ... بما الندي من اخر الليل غائب

وذلك ان الماء اخر الليل يكون قد برد وخصوصا ماء
الندي فانه في تلك الساعة ينزل واكثر ما يكون في زمن البرد
واعلم ان ما ذكره من وصف ماء المزج بالبرد جرى فيه
على الغالب وربما وقع في كلامهم مزجها بالماء الحار كما اشار
اليه عمرو بن كلثوم بقوله من ابيات

مشعشعة كان الحص فيها ... اذا ما الماء خالطها سخينا

قال ابو عمرو الشيباني كانوا يسخنون لها الماء في الشتاء والحص
بضم الحاء وبالصاد المهملتين الورس وقيل الزعفران جعل
ان الماء اذا خالطها سخنا اثار منها رايحة طيبة ولعل
ذلك كان يقع لهم في البرد الشديد الذي تجمد فيه الخمر
لشدته فاذا اصابت الماء التسخن عليها لطفها ورقتها
بخلاف البارد فانه يزيدها جمودا الى جمودها والى هذا
المعنى اشار القاضي الفاضل رحمة الله واصفا لشدة البرد
في ليلة قد جمد خمرها وحمد جمرها الى يوم تود البصلة
لو زادت قميصا على قمصها والشمس لو جرت النار الى قرصها
ولدد در القائل

يوم يود الطير من برد به ... لو ذاق حر النار والسعودا
واذا رميت بغصن الكاسك في الهوي رجعت عليك من السلاف عقودا

الوصف الثاني كونه من ماء عجينة وهو ما انعطف من
الوادي على ما تقدم قال ابو السعادات بن الاثير في نهايته
وانما خص عجينة بالذكر لانه يكون اصفى وابرد وكان المعنى
فيه ان الرياح تتراكم فيه لانعطافه فتبرده كما اشار اليه
في اخر البيت بقوله وهو مشمول وان كان فيه قذى ازالته
الرياح كما اشار اليه في البيت الذي يليه بقوله تنفي الرياح
القذا عنه على ما سيأتي بيانه الوصف الثالث كونه صافيا
وهو المراد بقوله صاف وذلك ان الماء انما يصفو بخلوصه
مما خالطه من اجزاء الارض فاذا كان صافيا ومزجت به

الخمر لا يكدرها بخلاف ما اذا كان كدرا فانه يكدرها بمخالطته
لها وتخرجها عن وصف الصفا المطلوب فيها الوصف الرابع
كونه ابطح وهو المسيل الواسع الذي تربته دقاق الحصا
على ما تقدم بيانه فباتساعه يكون مظنة الكثرة وبكون
تربته دقاق الحصى يكون مظنة الصفا الوصف الخامس
كونها خذ في وقت الضحى وهو اول وقت يستحي فيه لقرب
عهده من اخر الليل فيكون الماء فيه باردا بخلاف ما بعد
ذلك من اوقات النهار التي يشتد فيها حر الشمس الى اخر النهار
واوايل الليل يبقى فيها اثار حر النهار الوصف السادس كونه
مشمولا وهو الذي ضربته ريح الشمال حتى برد لان المطلوب
فيه البرد كما تقدم فان قيل لم خص ريح الشمال بالذكر
دون غيرها فالجواب ان ريح الشمال اشد تبريدا للماء من
غيرها من الرياح خصوصا بارض الحجاز لرقتها ولطافتها
وغيرها من الرياح ليس كذلك بل ربما هبت بعض الرياح
على الماء فسخنته بمرورها عليه وسيأتي ذكر انواع الرياح
في البيت الذي يليه عند قوله تنفي الرياح القذي عنه
ان شاء الله تعالى البيت الخامس

تنفي الرياح القذي عنه وافرطه ... منصوب سارية بيض يعاليل

قوله تنفي الرياح القذي عنه وافرطه اي تنفي الرياح القذي
عن ذلك الابطح وقوله تنفي اي تطرد يقال نفاه اي طرده
والرياح جمع الريح قال الامام فخر الدين الرازي والريح

عبارة عن هوا يتحرك قال وكونه متحركا ليس لذاته والا لدامت
الحركة بدوام ذاته فلابد وان يكون بتحريك الفاعل المختار
وهو الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى الله الذي يرسل الرياح
وزعم الفلاسفة ان سبب ذلك ارتفاع ابخرة دخانية
لطيفة من الارض قد سخنت تسخينا شديدا وسبب
تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى القرب من
الفلك كان الهوي المتضيق بمغز الفلك متحركا على استدارات
الفلك المستديرة التي جعلت لتلك الطبيعة من الهوي يمنع
نفوذ الابخرة فتستغرق في الجوانب وبسبب ذلك التغرق تحصل
الريح وهو مردود باجوبة ليس هذا موضع ذكرها ثم اصول
الرياح اربعة الاولى الصبا وتسمي القبول بفتح القاف لانها تقابل
بهبوبها المشرق قال ابو جعفر النحاس وهي التي تسميها
اهل مصر المشرقية لانها تاتي من جهة المشرق الثانية الدبور
وهي التي تاتي من مغرب الشمس سميت بذلك لان من استقبل
المشرق استدبرها واهل مصر يسمونها الغربية ومهبها
من مغرب الشمس الى حد القطب الاسفل وهو الجنوبي الثالثة
الشمال بفتح الشين سميت بذلك لانها عن شمال من استقبل
المشرق قال ابو جعفر النحاس ويقال لها البحرية لانها
بسادبها في البحر على كل حال والاسم الذي ذكره يعرف عند
المصريين والعامة منهم يعتقدون انها انما سميت بذلك
لهبوبها عليهم من جهة البحر ومهبها من حظ القطب الشمال

الى

الى مغرب الشمس الرابعة الجنوب وهي التي تسميها المصريون
القبلية وعامتهم يعبرون عنها بالمريسي لانها تهب من
بلاد المريسي وهم طايفة من السودان حسان الوجوه
ومهبها من جهة القطب الاسفل الى مطلع الشمس وكل
ريح جاءت من بين مهب ريحين يقال لها النكبا سميت
بذلك لانها نكبت عن مهب تلك الرياح الاربع اي عدلت
عنها ولاهل البحر الملاحين في ذلك المعرفة التامة وهم كما
يقال علم نفيس في جنس خسيس والقذي بفتح القاف والذال
المعجمة ما يسقط في العين والشراب والمراد هنا ما يقع
في الماء مما يشوبه ويكدره قوله وافرط من صوب سارية
بيض يعاليل اي وافرط ذلك الابطح بالماء بيض يعاليل
من صوب سارية وقوله وافرط يعني ملاه ملاخارجا
واصل الافراط الزيادة في الشيء ومجاوزة الحد والمراد هنا
ان البيض اليعاليل على الخلاف الاتي في تفسيرها قد ملات
ذلك الابطح بالماء حتى خرج في امتلايه عن الحد والصوب
في كلامه هنا هو المطر والسارية تحتمل معنيين الاول
ان يريد من صوب سحابة سارية وهي التي تاتي بالليل
اخذا من السري وهو سري الليل يقال سري يسري اذا
سار ليلا وقد صارت علما عليها لا يفهم منها عند الاطلاق
في كلام العرب عند ذكر غيرها الثاني ان يريد من صوب سحب
سارية على معنى الجمع ويكون المراد السحب التي تاتي ليلا

وقد اختلف في معنى البيض اليعاليل فقيل البيض الجبال
واليعاليل الشديدة البياض وهو الظاهر الذي يرشد اليه
المعنى او يكون البيض الجبال على ما تقدم واليعاليل التي
ينزل منها الماء مرة بعد مرة اخذا من العلل وهو الشرب
مرة بعد اخرى كما تقدم في البيت قبله وقيل البيض الجبال
واليعاليل المرتفعة وقيل البيض السحب واليعاليل التي
تجئ مرة بعد مرة وردّ بانه يصير التقدير وافرطه بيض
سحب يعاليل من صوب سحابة سارية ويكون المعنى
ان السحب البيض التي ملأت الابطح استمدت الماء من مطر
تلك السحابة السارية وذلك يودي ان بعض السحب
تستمد المطر من بعض وهو خلاف المراد وغير الواقع بل
السحب لا تكون بيضا الا اذا كانت خالية من المطر واما
اذا كانت حاملة للمطر فان لونها يكون اغبر ومعنى البيت
ان الرياح عند هبوبها تطرد ذلك الابطح الذي اخذ
منه الماء المشجوج به الراس المشبه به ثغر سعاد حتى
لم يبق منه ما يكدره وجاءت سحابة او سحب بالليل
وامطرته حتى امتلأ وفاض فاجتمع فيه الصفا والبرودة
والكثرة وذلك انه لما وصف الماء الذي شحت به الرياح في
البيت الذي قبله بما يرجع حاصله الى الكثرة والبرودة
والصفا على ما تقدم تنزيره هناك اتبعه في البيت بما يوكده
فوصف فيه بخمسة اوصاف الاول نفي القذا عن الابطح

الذي

الذي فيه الماء وهو محتمل معنيين الاول ان يكون نفي القذا
عنه قبل وجود الماء فيه بمعنى ان الرياح تهب عليه فتنسف
ما فيه من تراب ونحوه مما يكدره اذا نزل عليه فلا يبقى فيه
الا دقاق الحصى التي هي اصل تربته فلا يجد الماء عند حلوله
فيه ما يكدره فيبقى على صفائه الثاني ان يكون نفي القذا
عنه بعد وجود الماء فيه بمعنى ان الرياح تهب على الماء
وهو في الابطح فتقذف ما على وجهه مما كان في الابطح
قبل وجود الماء فيه فطفا على وجه الماء او سقط في الماء
بعد حصوله في الابطح فيطرده الى شاطئ الوادي والمعنى
الاول ابلغ في الصفا لعدم ملاقات القذا للماء جملة وهو
اقرب الى مراد الناظم رحمه الله الوصف الثاني الزيادة
والكثرة وهو المراد بقوله وافرطه لان الماء قد يكون
باردا صافيا ولكن فيه ما يستقذر مما لا يغيره ولا يكدره
كعظم الميتة ونحوها فاذا كان كثيرا لا يتاثر بذلك
ولم تعف النفس شربه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا اشارة الى ان ما دون
القلتين يتاثر بالنجاسة وغيرها وان لم يتغير الوصف
الثالث كونه من ماء المطر وهو المراد بقوله من صوب
على ما تقدم تفسيره فان قيل لم خص ماء المطر دون غيره
من المياه فالجواب من خمسة اوجه الاول الغالب في
ارض الحجاز ماء المطر ومنه تمتلئ الجبال والاودية وتستمد

العيون فجري في ذلك علي الغالب في ارضه وهو الاقرب الي مراده
الثاني ان ماء المطر مشتمل من اصله علي وصفين من اوصاف الماء
المطلوبة فيه وهما الصفا والبرودة اما الصفا فلانه ليس في
السحاب ما يكدره وانما تطرأ عليه الكدورة بعد ذلك مما
يصيبه من اجزاء الارض بخلاف المياه الارضية فانها مخالطة
لاجزاء الارض من اصلها واما البرودة فلان ماء المطر ينزل من
السحاب باردا وانما تطرأ عليه السخونة بعد ذلك لما يصيبه
من حر الشمس وحرارة الارض وما احسن قول بعضهم يرثي
شيخه وقد امطرت السما في اليوم الذي مات فيه

بكت السما عليه يوم مماته ... بمدامع كاللؤلؤ المنثور
واظنها فرحت بصعد روحه ... لما سمعت وتعلقت بالنور
اوليس دمع الغيث يحي باردا ... وكذا تكون مدامع المسرور

الثالث ان ماء المطر افضل من غيره من المياه ولذلك وردت السنة
ان يكشف الانسان ما سوي عورته لاول مطر العام ليصيبه
وقد جاء ان الرياح تحمل الماء من السما فتصبه في السحاب فيمطر
منه وعليه قوي في الشواذ وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا
تفسير المعصرات بالرياح دون السحاب وان كان الاكثرون
علي تفسير المعصرات بالسحاب وعليه قوا السبع وانزلنا من المعصرات
الرابع قيل ان الماء الذي ينبع من الارض هو الذي نزل من السما
احتجاجا بقوله تعالي وانزلنا من السما ماء بقدر فاسكناه
في الارض وحينئذ يكون ماء المطر اخف وذلك ان الفلاسفة

تزعم ان السما هو الاصل وما في الارض نوع من الخامس قبل ان ماء

تزعم ان ماء المطر من ابخرة متصاعدة من البحر علي ما هو مقرر
عند الطبيعيين ولا يتصاعد من الماء الا ما هو اخف والطف
والي هذا المعني اشار بعضهم في الاعتذار عن هدية ارسل
بها الي من عمه بره بقوله

كالبحر يمطره السحاب وماله ... من عليه لانه من مائه

الوصف الرابع كونه من سحابة او سحب اتت بالليل وهو المراد
بقوله سارية علي ما تقدم وذلك ان السحاب اذا اتت ليلا بقي
المطر علي اصله في البرودة فاذا اخذ من صبيحة تلك الليلة
كان في غاية من البرد وهو اكد المطلوب فيه وان جعلنا سارية من
وصف السحب علي معني الجمع كان فيه معني الكثرة ايضا فيكون
مؤكدا لمعني قوله وافرطه خصوصا اذا فسرنا يعاليل بالتي
تاتي مرة بعد اخري الوصف الخامس كونه ينزل من السما
قبل مصيره الي الابطح علي جبال بيض صافية ليس عليها ما يكدر
الماء اذا وقع عليها وهو المراد بقوله بيض يعاليل علي اقوي
التفاسير المتقدمة خص الجبال المذكورة بنزوله عليها قبل
نزوله الي الابطح الذي هو مقره لان الجبال مع صفاء اصلها لا ينفصل
منها شيء بوقوع المطر عليها بخلاف الابطح فانه ربما اثار المطر
تربته بشدة وقعه عليه ثم اذا فسرنا يعاليل بالشديدة
البياض كان مبالغة في صفاء الماء الذي ينزل عليها لغلبة الصفا
عليه وان فسرناها بالتي تاتي مرة بعد اخري كان مبالغة في الصفا
ايضا وذلك انها اذا كانت مرتفعة كان هبوب الرياح عليها

اشد فرحا نسفت ما بهما من تربة ان كانت فتبقي علي نقايها
وصفايها والله اعلم البيت السادس

اكرم بها خلة لو انها صدقت موعودها او لوان النصح مقبول

قوله اكرم بها خلة الخ اي اكرم سعاد خلة لو انها صدقت موعودها
الذي وعدته اكرم بها ومعناه ما اكرمها كما في قوله تعالى اسمع
بهم وابصر يوم يأتوننا اي ما اسمعهم وابصرهم في ذلك اليوم
ثم الكرم في قوله تحتمل معنيين الاول وهو الاقرب لمراده
ان يريد به كرم الحسب والشرف وطيب الارومة الثاني ان
يريد به خلاف البخل وهو الجود وهو المتبادر الى افهام العامة
والخلة بضم الخاء وتشديد اللام وبعدها تاء التانيث الخليلة
وهي الصديقة ويروي فيالها خلة بدل اكرم بها او فيا قوم
اعجبوا لها خلة ويروي ايضا يا وحبها خلة ووبح كلمة
يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها فيرثي له رحمة كما في قوله
صلى الله عليه وسلم ويح عمار تقتله الفئة الباغية ويروي
يا ويلها خلة وويل كلمة لمن يستحق الهلكة كما في قوله تعالى
وهايستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق ولو في
كلامه تحتمل معنيين احدهما ان تكون للتمني كما في قوله
تعالى فلو ان لنا كرة ويكون المعنى فيها فيا ليتها صدقت
موعودها لكانت خلة كريمة ولو صدقت موعودها لتمت
خلالها والصدق خلاف الكذب وموعودها يحتمل ثلاث
معان الاول ان يريد به نفس الوعد بتقدير لو صدقت

وعدها الثاني ان يريد به الشيء الموعود به بتقدير لو
صدقت ما وعدت الثالث ان يريد به الشخص الموعود به
بتقدير لو صدقت الوعد الذي وعدته قوله لو ان النصح مقبول
اي اكرم بها خلة لو انها صدقت موعودها على ما تقدم او
لو ان النصح مقبول عندها ولو في كلامه تحتمل معنيين الاول ان
تكون على بابها الثاني ان تكون بمعنى الواو كما في قوله تعالى
وارسلناه الى ماية الف او يزيدون والنصح خلاف الغش قال
ابن الاثير وهي كلمة يعبر بها عن جملة هي ايراد الخير للمنصوح
قال وليس يمكن ان يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع
معناها وغيره واصل النصح الخلوص ومنه قولهم نصح اللبن
اذا خلص من رغوته والمقبول خلاف المردود ومعنى البيت
انها صديقة كريمة الا ان فيها خصلتين منافيتين لافعال
الكرم وهما اخلاف الوعد وعدم قبول النصح فلو انها خلت
عن هاتين الخصلتين لكانت على اتم الخلال واكملها وحاصل
الامر ان الانسان كما يحتاج الى حسن الصورة وكرم الاصل
كذلك يحتاج الى حسن المعاشرة من الوفا والصدق والود
والمصافاة ولين الجانب ونحو ذلك اذ لو كان الانسان في
غاية الحسن والجمال ولكنه سيء المعاشرة قليل الموافاة
لمحبة النفوس ونفرت عنه القلوب وجفته الاصدقا ورفضته
الاصحاب بل حسن السيرة مقدم على حسن الصورة فقد قال
الامام فخر الدين رحمه الله في اسرار التنزيل ان حسن الصورة

وان كان مرغوبا فيه فان حسن السيرة افضل منه اذ
حسن الصورة انما يبقى ايامًا وحسن السيرة لا يزول اثره
ولا تبطل نتيجته وحسن الصورة ربما ادى بصاحبه الى
الوقوع في المحن والبلاء وحسن السيرة ينجيه من المهالك
وينقذه من المهاوي الا ترى ان حسن الصورة ادى بيوسف
عليه السلام الى السجن وحسن سيرته اوجب له الخروج من
السجن والجلوس على سرير الملك ولما كانت سعادة الحسن
والجمال على الوصف الذي قدم ذكره الا انها كانت سيئة العشرة
قليلة المواساة تاسف عليها لكونها لم تكمل خلالها ولم تتم
خصالها ولم يصده ما لاقاه من سوء عشرتها وقلة موافاتها
عن محبته لها ولم يثن عنانه عن مودتها بل لم يزدد فيها
الا هيامًا ولم يحدث عنده جفاها الا ودًا ولله در القائل

العقل عقيلة الرجال والحب محلل العقال
العقل يقول لا تبالغ والحب يقول لا تبالي

ثم انشد على الرواية المذكورة وهي اكرم بها خلة كان ذلك
في غاية المدح فان فسرنا الكرم بالحسب والشرف وطيب
الارومة كان هو الغاية القصوى اذ العراقة في النسب مطلوبة
في المراة مرغوب فيها خصوصًا عند العرب وقد وردت السنة
باعتبار ذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم
فلا تضيعوها الا في الاكفاء وانهى عن المراة الدينة الاصل
فقال وايا كم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول

الله قال المراة الحسناء في المنبت السوء والمعنى ان الدواب
اذا راثت بالمرعى ونبت الزرع في موضع الروث تراه اخضر
مرتفعًا على ما حوله من الزرع فشبه النبي صلى الله عليه وسلم
المراة الحسنة الدنية بالزرع الحسن النابت في الروث على
اصل غير طيب على ان الحديث مصرح بضعفه لتفرد الواقدي
به وان كان المعنى صحيحًا وان فسرنا الكرم بما خالف البخل
كان في معنى المدح ايضًا الا انه دون الاول لان الجود فيما
يقال من صفات المدح في الرجل دون المراة والحق ان الجود
فخر لصاحبه مطلقا رجلا كان او امراة وان انشد فيها
خلة على الرواية الثانية بتقدير الا فاعجبوا لها او فيالها
خلة كان التعجب من كونها اشتملت على حسن الصورة وبديع
الجمال وهي مع ذلك مشتملة على سوء العشرة وقلة الموافاة
فان حسن الصورة مقرون بحسن الفعال وكرم الخلايق
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوائج عند صباح الوجوه
فان كانت في نهاية الجمال والحسن وفعالها مخالفة في ذلك
كان في غاية التعجب وان انشد فيا وبحها خلة على الرواية
الثالثة كان ذلك من باب التاسف عليها حيث لم تتخلق
باخلاق الكرام المناسبة لبديع منظرها وكرم حسبها بل
خرجت عن طورها الملايم لها وركبت جادة لا تليق بمثلها
فحادت عن طريق الصدق ومالت الى الاخلاق فقطعت
حبال المودة وهدمت مباني الالفة ولله در البحتري

حيث يقول ــــــــ

احنو عليك وفي فوادي لوعة ٭ واصد عنك ووجد ودي مقبل
واذا هممت بوصل غيرك رد بني ٭ ولهُ عليك وشافع للاول
واعز نفسي اذل ذلة واسق ٭ والحب فيه تعزز وتذلل

وان انشد فيا ويلها على الرواية الرابعة كان من باب الدعا على المحبوب المطلوب فيه عدم الاجابة كما قيل

ادعو عليك وقلبي ٭ يقول يا رب لا لا

وكانه لما اضجره اعراضها واعياه صعوبة مراسها هفت منه هفوة فقال يا ويلها لا انه قصد بذلك حقيقة الدعا واذا دعي المحب على المحبوب بالويل فما عسى يدعو به العدو على عدوه وما احسن قول ديك الجن

كيف الدعا علي من خان او ظلما ٭ وما لكي ظالمي في كل ما حكما
لا واخذ الله من اهوى بجفوته ٭ كلا ولا اقتص لي منه ولا انتقما

ثم ان جعلت لو في قوله لو صدقت موعودها في التمني فتقدير البيت لو صدقت كان حسن الخلة ثابتا لها في كل حال سواء انشد اكرم بها خلة او يا و بحها خلة او يا ويلها على اختلاف الرواية غير انه انشد اكرم بها خلة على معنى ما اكرمها خلة كان قد اثبت لها وصف الكرم وان انشد فيا لها خلة او يا و بحها او يا ويلها كان فيه معنى التاسف على عدم كمال خلالها ومعاطاتها ما ينا قض اسباب الوفا مما لا يليق بجمالها وجلالها وان جعلت لو بمعنى الشرط كان قد علق الامر بكل التقدير على

صدقها الوعد فان انشد اكرم بها خلة كان كرمها معلقا على شرط صدق الوعد فلا يكون الكرم ثابتا لها الا مع صدق الوعد وان انشد فيا لها او يا و بحها او يا ويلها كان التقدير لو انها صدقت موعودها لكملت خلالها او لكان خيرا لها ثم ان جعل الكرم في كلامه بمعنى الجود كان المعنى انها مشتملة على الجود متصفة الا انها لم تجد له بالوصل كان كما قال ابن وكيع

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعا ٭ فقلت لهم هيهات عنكم غاطيه
لو جادها فان الجود عادته ٭ وانما عز لما عز مطلبه

وان جعل الكرم بمعنى الحسب والشرف كان المراد التاسف عليها كيف لم تحسن طريقتها ولم تتصف في الود خلايقها كما قال جميل واجاد

وما ذا عسى الواشون ان يتحدثوا ٭ سوى ان يقولوا انني لك عاشق
لقد صدق الواشون انت حبيبة ٭ الي وان لم تصفني خلائق

فان قيل ما المراد بالوعد الذي وعدته ولم تصدق فيه فالجواب ان سياق الكلام يقتضي انه وعد يتعلق بالوصل والمودة وحسن العشرة على انه قد تقدم ان محبتهم مصونة عن الخنا بعيدة عن الريبة والزنا وقد حكي ان عزة دخلت على ام البنين ابنة عمر بن عبد العزيز فقالت لها ما معنى قول كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه ٭ وعزة ممطول معنى غريمها

وماكان هذا الدين فقالت وعدته قبلة ومطلته بها
فقالت الجزء بها له وعليّ اثمها وكانت ام البنين صالحة
فاعتقت اربعين عبدًا عند الكعبة وقالت اللهم اني
ابراء اليك مما قلت لعزة ثم لما اشار الى عدم وفايها
بالوعد بقوله لو انها صدقت موعودها اتبع ذلك بوصف
اخر وهو عدم قبول النصح وهو يحتمل المعنيين الاول
ان يكون النصح فيما يتعلق به ويرجع نفعه في الحقيقة
اليه وهو ترك الهجر والمطل والوفا بما وعدته من الوصل
فان المرء مجاز بفعله والمظلوم منصور فربما رماها الدهر
الى من يوقعها في حبالة الحب ويأخذ بثارها كما قيل

قلت لمحبوبي وقد مر بي ۞ محبوبه كالقمر السّاري
هذا الذي ياخذ لي طرفه ۞ من طرفك الوسنان بالثار

واذا اوصلته كانت قد ابغت عليه روحه وفازت باجره
كما قيل

قديت من ترحم عشاقها ۞ وراحم العشاق ماجور

بل ربما حمله على المحبة تمحض النصح من جانبها مع اعراضه
عن حال نفسه كما قيل

وما طلبي للوصل حرصًا على اللقا ۞ ولكنه اجرا اليك اسوقه

المعنى الثاني ان يكون النصح فيما يتعلق بخاصتها وهو
بنهاها عن الحالات الذميمة الذي اثبتها لها في البيت الذي
بعده من الاصابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد والملال

الى

الى غير ذلك مما تضمنته الابيات التي قبله وبعد ذلك على
ما سيأتي بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى مع ما وصفها
به في صدر القصيدة من الخفر والجلالة والجمالة التي لا تليق
بصاحبها معها طامة ذميم الخلال وقد قال صلى الله عليه
وسلم لجرير بن عبد الله وكان جميلا انت امرء قد احسن
الله خلقك فاحسن خلقك ومن كلام بعض الحكما لكل
شخص حكمان احدهما من جهة جسمه وهو منظره والثاني
من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان وقل
ما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديه والله در
القائل

يا حسن الوجه توق الخنا ۞ لا تبدلن الزين بالشين
ويا قبيح الوجه كن محسنا ۞ لا تجمعن بين قبيحين

اذا علم ذلك فان جعلنا او في كلامه بمعنى الواو كان حسن
خلقها معلقا على احدهما فقط فايهما وجد كانت متصفة
بحسن الخلة على ان قبولها النصح شامل لصدق الوعد
ولا عكس البيت السابع

لكنها خلة قد سيط من دمها ۞ فجع وولع واخلاف وتبديل

قوله لكنها اي لكن سعاد والخلة الخليلة على ما تقدم في
البيت قبله وقد هنا للتحقيق بمعنى ما يذكره عنها من
الفجع والولع والاخلاف والتبديل محقق الوجود فيها
وقوله سيط بكسر السين المهملة واسكان الياء بعد طاء

بمهملة معناه خلط يقال ساط الماء وغيره اذا خلطه بغيره
وضربها حتى صارا شيئا واحدا ومنه قيل للآلة التي يضرب
بها سوط لانه يسوط اللحم بالدم اي يخلطه قال ابن هشام
ويجوز ان يقرا شيط بالشين المعجمة بدل المهملة لانه
يقال شاطه بمعنى ساطه ومن في كلامه بمعنى في كما في
قوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة اي في يوم
الجمعة والمعنى قد خلط في دمها هذه الخلال والدم
احد الخلال الاربعة التي بها قوام البدن وهي الدم
والبلغم والصفرا والسودا والنجع بفتح النون واسكان الجيم
والعين المهملة الاصابة بالمكروه والاذي والولع بفتح
الواو واسكان اللام والعين المهملة ايضا الكذب والاخلاف
بكسر الهمزة واسكان الخاء وبالفاء في اخره خلاف الوفا
والمراد هنا باخلاف الوعد والتبديل ابدال شيء بغيره
والمراد هنا تبديل خليل بخليل وهو في الحقيقة وصف
الملال والمعنى ان هذه المحبوبة التي ابتلي بحبها قد اشتملت
على الاصابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد والملال على
ما تقدم بيانه قال ابن هشام وموقع البيت مما قبله
لو كان زيد عالما لاكرمته لكنه ليس بعالم ولا صالح بمعنى
انه في البيت الذي قبله اشار الى وصفين وهما اخلاف
الوعد وعدم قبول النصح وفي هذا البيت ذكر انها اشتملت
على اربع خلال مستلزمة كما في البيت الذي قبله وزيادة

الخلة

الخلة الاولى النجع وهو الاصابة بالمكروه على ما تقدم
وهو محتمل لامور منها الهم وما يتبعه من معاسات الآلام
ومكابدات الاهوال ومعالجة الاسقام فالهم يذيب القلوب
ويشيب الروس ويسدر العقايل

الا فاعجبوا من فعلها بحبيبها ولا تعجبوا من لبنى ومشيبها
فان هجرتني شيمتي بهجرها وان واصلتني شيبتي يطيبها

ومنها ما يلقاه منها من الحيف والاساءة اذ قل ان يوجد
المحب حبيبا وقد قيل من العناية ان تحب وان يحبك من
تحب ومن السعادة ان تحب ولا يحبك من تحب وسدر العقايل

واكثر افعال الغواني اساءة واكثر ما تلقى الاماني كواذبا

ومنها ما يقاسيه من الخوف من اهلها وعشيرتها كما قال
ابن خفاجة

وليل طرقت العامرية تحته اجد على حكم الشباب مزارا
فخالطت اطراف الاسنة انجما ودست بها لات البدور ديارا

ومنها ما ينالها من العذال من اللوم والتوبيخ كما قال ابن بسام

لقد صبرت على المكروه اسمعه من معشر فيك لولا انت تطفقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا

ومنها ما يقاسيه من الوشاة والرقباء الذين لا يتهنا معهم بعيش
ولا يلذ بوصال ومما قلته في ذلك

احرص على طرد الحبيب وبعده ان تغتنم وصل الحبيب تلاعبه

كم ليلة بات الحبيب بجانبي ۞ لكنني خوف الرقيب اجانبه ۞

الخلة الثانية الولع وهو الكذب على ما تقدم محتمل لامور منها كذبها في اخفاء محبته واظهار كراهته وتقاضيا عن وصله كما قلت مضمنا لبيت الرشيد

من مضغي من فتاة علقت بهما ۞ اضحت يمازجها وصل وهجرانا ۞

تبدي صدودا وتخفي تحته شغفا ۞ فالنفس راضية والطرف غضبانا ۞

ومنها كذبها في دعوي العوايق عن الوصل واقامة الحجج الملفقة منه كما قلت ايضا

تتيم معاذيرا وتزعم صدقها ۞ وتطمع اماني بها فالبين ۞

وتحلف لو تستطيع جادت بوصلها ۞ وليس لمحقوب اليمان يمين ۞

ومنها كذبها في الوعد ويكون قوله فيما بعد واخلاق تاكيد لقوله وولع وسيأتي الكلام عليه في البيت التاسع الخلة الثالثة اخلاف الوعد على ما سبق فتعده وتمنيه وتمطله ولا تفي به كما قال ابن نباته

وخلف وعدك يخلق منك اعرفه ۞ فليت كان النجاح في منك موعودا ۞

الخلة الرابعة تبديل خليل بخليل وهو محتمل لامرين احدهما ان يكون ذلك حقيقة ويكون قد وصفها بالملال حتى لا تبقي على محبوب بل كلما خالت خليلا ملته وانتقلت عنه الى اخر واليه اشار العباس ابن الاحنف

يا قوم لم اهجركم لملالة ۞ مني ولا لمقال واش حاسد ۞

لكنني جربتكم فوجدتكم ۞ لا تصبرون على طعام واحد ۞

الثاني ان يكون ذلك خيالا منه قد خيلته له الغيرة في نفسه من شدة الحب كما في قول القائل

وما رمت بالحظ غيري حسبتها ۞ كما اثرت بالعين توثر بالقلب ۞

واني لارجو ان تدوم لعهدها ۞ ولكن سوء الظن من شدة الحب ۞

فان قيل لاي معنى خص الخلال الاربعة فالجواب من وجهين الاول ان الدم هو الغاذي للاعضا بمفرده على مذهب ارسطو ومن تابعه من الاطبا فاذا اختلطت هذه الخلال به كانت قد غذيت به جميع الاعضا فامتزجت بها فصارت طبعا لا تنفك عنه الثاني انه قد تقدم في الكلام على البيت الاول ان في القلب تجويف تحوي الدم والروح الحيواني ومنه ينبث في الشرايين ويسري الى سايئر الاعضا واذا كانت هذه الخلال متصلة بالدم كانت متصلة بالقلب الذي عليه مدار الجسد

البيت الثامن

فما تدوم على حال تكون بها ۞ كما تلون في اثوابها الغول ۞

قوله فما تدوم على حال تكون بها اي فما حيلت عليه من الاخلاف والتبديل ما تدوم على حال والحال يذكر ويؤنث يقال هذا حال صالح وهذه حالة صالحة وقد يقال الحال والتانيث لغة اهل الحجاز وعليها جري الناظم ولذلك قال تكون بها ولم يقل به وقوله كما تلون في اثوابها الغول

واصل تلون تتلون بتاءين في اوله فحذفت احدي التاءين
علي عادة العرب في ذلك كما حذفت من قوله تعالى تكاد
تميز من الغيظ والاثواب جمع ثوب وهو معروف والغول
واحد الغيلان وهي نوع من الشياطين قيل سميت بذلك
لانها تغتال الشخص اي تاخذه من حيث لا يدري فتهلكه
وكل شيء اغتال الانسان فاهلكه قيل له الغول اولانها
تتغول بمعني تتلون اخذا من قولهم تغولت علي البلاد
اذا اختفت تزعم العرب ان الغول تتراءي لهم في الفلاة
بالوان شتي وتاخذ جانبا عن الطريق فيتبعها من يراها
ظانا انها علي طريق فيضل عن الطريق فيهلك وربما قالوا
انها تعترضهم في الطرقات فتخادعهم والي ذلك اشار تابط شرا

الا من مبلغ فتيان فهم ٭ بما لاقيت عند رحا بطان ٭
٭ بانّي قد لقيت الغول تهوي ٭ بسهب كالصحيفة صحصحان ٭
٭ اخو سقف فخلي لي مكاني ٭
٭ فشدت شدة نحوي فانهوت ٭ لها كفي بمصقول يماني ٭
٭ فاضربها بلا دهش فخرت ٭ صريعا لليدين و للجران ٭

وقد اختلفوا في وجودها حقيقة فذهب قوم الي انها
لا حقيقة لها وانما هي من خرافات العرب التي تلهج بها مع
غيرها من الامور المستحيلة التي هي علي غير مسميات واحتجوا
لذلك بما ثبت في صحيح مسلم من رواية جابر ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال لا طيرة ولا نوء ولا غول فنفي

صلي

صلي الله عليه وسلم الغول كما نفي الطيرة ووقوع المطر بنوء الكواكب
والي ذلك اشار بعض الشعرا بقوله يوكد لنفي الجود بمقارنته
في النفي لبعض المحالات

٭ الجود والغول والعنقاء ثالثها ٭ اسما اشيا لم تخلق ولم تكن ٭

وذهب اخرون الي وجودها حقيقة محتجين بقوله صلي
الله عليه وسلم اذا تغولت الغيلان فبادروا بالاذان
وفي حديث ابي ايوب كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجي
فتاخذها وقوله صلي الله عليه وسلم ولا غول ليس نفيا لوجود
الغول بل المراد ابطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة
واغتياله وانها لا تستطيع ان تضل احدا وتستهويه وقال
صلي الله عليه وسلم في الحديث الاخر لا غول ولكن السعالي
وهي اناث الشياطين وقيل سحرتهم وهم الذين لهم قدرة علي
التلبس والتخيل وقيل الغيلان الذي تتراءي بالليل والسعالي
الذي تتراءي بالنهار ومعني البيت ان هذه المراة لا تدوم
علي حالة ولا تبقي علي خليل بل تتغير من حال الي حال وتنتقل
من خليل الي غيره وتتلون بالوان شتي وتتراءي في صور
مختلفة فتارة تصل وتارة تقطع وتارة ترضي وتارة
تغضب وتارة تجفو وتارة تود وتارة ترغب في خليل وتارة
ترغب عنه كما قال بعض الاعراب

٭ شكوت فقالت كل هذا لترما ٭ بحبي اراح الله قلبك من حبي ٭
٭ فلما كتمت الوجد قالت تقتلا ٭ صبرت وهذا ليس فعل ذي القلب ٭

وادنو فتغضيني فابعد طالبا ٭ رضاها فتقييد التباعد من ذنبي ٭
فشكواي توذيها وصبري يسوءها ٭ وتخرج من بعدي وتنزف من قربي ٭
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها ٭ اشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربي ٭

البيت التاسع

ولا تمسك بالعهد الذي زعمت ٭ الا كما يمسك الماء الغرابيل ٭

قوله ولا تمسك بالعهد الذي زعمت اي فما تدوم على حال تكون بها على ما تقدم في البيت قبله ولا تمسك بالعهد بضم المثناة من فوق وكسر السين المشددة يقال مسك بالتشديد تمسك ومنه قوله تعالى والذين يمسكون بالكتاب ولا تمسكوا بعصم الكوافر ويجوز ان تكون بفتح التاء والميم وتشديد السين المفتوحة والاصل تتمسك فحذفت احدى التاءين كما في قوله في البيت الذي قبله تتلون وعليه قرئ في الشاذ ولا تتمسكوا بعصم الكوافر والعهد هنا بمعنى الحفاظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حسنى العهد من الايمان وقوله زعمت يجوز ان يكون بمعنى تكلفت ويكون التقدير الذي زعمت انها تنفي به والزعم في اصل اللغة قول يدعيه المدعي محتمل للحق والباطل الا انه غلب استعماله في الباطل ولم يرد في القرآن الا معناه ومنه قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا وقوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ومن استعماله في الحق قول ابي طالب يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

ودعوتني وزعمت انك ناصحا ٭ ولقد صدقت وكنت ثم امينا ٭

وقول

وقول كثير

وقد زعمت اني تغيرت بعدها ٭ ومن ذا الذي يا عز لا يتغير ٭

فان عجز البيتين يدل على الصدق وقوله كما تمسك الماء الغرابيل والغرابيل جمع غربال وهو الذي يغربل به الحنطة ونحوها ومعنى البيت انها لا توثق بعهدها ولا اعتماد على قولها وشبه امساكها للعهد كامساك الغربال للماء لان الماء بمجرد وضعه فيه يخرج منه مبالغة في النقض والنكث وعدم الوفا كما قال ابن السراج النحوي

حلفت لنا ان لا تخون عهودنا ٭ فكانها حلفت لنا ان لا تفي ٭

وحاصل الامر انه وصفها في البيت السابع باربعة اوصاف وهي الاصابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد وتبديل خليل باخر على ما تقدم بيانه هناك ثم رتب ذلك على ثلاثة اوصاف اخر فوصفها في البيت الثامن بوصفين احدهما عدم المداومة على حال واحد والتلون بالوان مختلفة ثم وصفها في البيت هنا بانها لا تمسك على عهد ولا تقف عنده فان قيل كيف ساغ له ان يصف محبوبته بهذه الصفات التي لا تليق ان يوصف بها الشخص عدوه فضلا عن حبيبه فالجواب عنه من وجهين احدهما ان وصفه لها بهذه الاوصاف راجع الى ما يتعلق باحوال المحبة من الوصل والهجر وما شاكل ذلك لانه وصفها بذلك على

الاطلاق واذا كان ذلك خاصا باحوال المحبة لم يكن قادحا
في الموصوف به فشان المحبوب الهجر والتجني والاعراض
والتغنث ولايكون هجره موثرا ولا تغنثه في المحبة قادحا
كما قال ابو نواس

اساء فزادته الاساءة حظوة ٭ حبيب على ما كان منه حبيب
تعد علي الواشيات ذنوبه ٭ ومن اين للوجه الجميل ذنوب

ولله در عتيق بن محمد الوراق

كلما اذنب ابدا وجهه ٭ حجة فهو مليء بالحجج
كيف لايغرط في اجرامه ٭ من اذا ساء من الذنب خرج

ومما احسن قول القائل

واذا الحبيب اتى بذنب واحد ٭ جاءت محاسنه بالف شفيع

الثاني ان يكون وصفها لتغير الغير عنها فربما سمع واصف
وصفها بالحسن فبعثه ذلك على حبها فكان سببا لمباينتها
له فاراد ان يبين انها مع ما وصفها به من الحسن سيئة
العشرة لاتفي بوعد ولا تقف عند عهد لتقلل الرغبات
في طلبها وتنفير النفوس عن حبها ولله در علي بن عيسى

ولست بواصف يوما حبيبا ٭ اعرته لاهوى الرجال
وما بالي اشوق قلب غيري ٭ ودون وصاله ستر الجمال

واعلم ان هذه الاوصاف تقع من المحبوب على اربعة
انواع الاول ان يكون عن تيه ودلال وعلاجه بالتذلل
والاستعطاف والتملق ليباخذ بقلب محبوبه ويستميل بالود

خاطره والى هذا المقام اشار بعضهم

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل ٭ اذا رضي المحبوب صح له الوصل

النوع الثاني ان يكون عن ملال وضجر وعلاجه بتحمل المشقة
والامساك عن المحبوب واختباره وقتا فوقتا فكيف ما امكنه
منه بالملال امسك عنه الى ان يتحقق منه ذهاب الملال
كما قال الواوا الدمشقي

بالله ربكما عوجا علي سكني ٭ وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما ٭ ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة ٭ ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب ٭ فغالطاه وقولا ليس يعرفه

النوع الثالث ان يكون ذلك عن ذنب صدر من المحب
وعلاجه التوبة عن ذلك والاقلاع عنه حتى لو رماه محبوبه
بذنب لاحقيقة له اظهر منه التوبة والتنصل كما قال
ابو نواس

الا ايها الجاني وساله الرضى ٭ ويا ايها المخطي ونحن نتوب
لحا الله من يلحاك في الترب وحده ٭ ومن لايرد الغيب حتى يغيب

النوع الرابع ان يكون عن بغض من المحبوب له وهذا هو الداء
العضال الذي يعسر علاجه ويشق برؤه ولاهل المحبة فيه
مذهبان المذهب الاول التحمل والصبر والمغالطة والخداع
لعله ان ينخدع او يرق كما قيل

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ٭ وان كنت مظلوما فعل انا ظالم

فانك ان لم تغر الذنب في الهوي ٭ يفارقك من تهوي وانفك راغم
وما احسن قول القائل
اذا مرضنا اتيناكم نعودكم ٭ وتذنبون فناتيكم فنعتذر
المذهب الثاني اخذ المحبوب بالقهر ان لم يسمح بالوصل كما
قال السلطان ابو عبد الله محمد بن الاغلب بالله محمد بن
يوسف بن نصر بن الاحمر الاندلسي
ايا ربة الغرط التي حسنت هتكي ٭ علي كل حال كان لابد لي منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى ٭ واما يعز وهو اليق بالملك
على ان الصلاح الصفدي لم يرتض هذا المذهب فقال
رد اعلى ابن الاحمر
تمسك ببذل فهو اليق بالهوي ٭ لتنتظم مع اهل المحبة في سلك
متى لاق بالعشاق عز وسطوة ٭ كانك من ذل المحبة في شك
ولا شك ان ابن الاحمر تكلم على قدر مقامه وعز تمكانه
في السطوة والقهر والصلاح الصفدي تكلم على ما يليق بمقام
العشق في نفس الامر فالعشق يذل الاسود ويلين الصلد
الا انه اذا دار الامر بين الذل والوصل فالوصل بالعز
اولى كما قلت منتصرا لابن الاحمر ورادا على الصفدي
اذا لم يكن وصل الى الحب مسعف ٭ وامسيت تحت الضيم في العشق والضنك
ولم استطع صبرا على الذل والهوى ٭ فبالعز وصل الخود اولى من الترك

البيت العاشر

فلا يغرنك ما منت وما وعدت ٭ ان الامانى والاحلام تضليل

قوله

قوله فلا يغرنك ما منت واذا كانت على ما تقدم من الاصابة
بالمكروه والكذب واخلاف الوعد وتبديل الخليل باخر
وعدم الوفا والمداومة على حال والتلون في الود وعدم
الوفا بالعهد فلا يغرنك ما منتك اياه وما وعدتك
اياه والخطاب في قوله فلا يغرنك يحتمل وجهين الاول
ان يكون خطابا لكل احد كما يقال فلان لئيم ان اكرمته
اهانك وان احسنت اليه اساء اليك لا يريد مخاطبا بعينه
ومنه قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند
ربهم اذ لم يجعل الخطاب فيه متوجها الى النبي صلى الله عليه
وسلم والثاني ان يكون خطابا لنفسه وهذا تسمية
اهل المعاني والبيان التجريد وهو ان يجرد من نفسه شخصا
ويوجه الخطاب اليه كما في قول الاعشى مخاطبا لنفسه
ودع هريرة ان الركب مرتحل ٭ وهل تطيق وداعا ايها الرجل
وحينئذ فيكون فيه التفات من التكلم الى الغيبة ومن حيث
انه صدر الكلام في البيت الاول من القصيدة بصيغة
المتكلم بقوله فقلبي اليوم متبول ثم رجع هنا من التكلم
الى الخطاب لنفسه بقوله فلا يغرنك ما منت وما وعدت
فيكون قد انتقل من التكلم الى الخطاب وهو نوع من الانواع
الستة المذكورة في انواع البديع اما اذا جعلنا قوله فلا
يغرنك خطابا لغيره فلا التفات فيه حينئذ ومنت
معناه كذبت يقال منا بكذا يمنيه اذا كذب به اخذا من

مني يمني اذا قدر الشي لان الكاذب يقدر الحديث لنفسه
ثم يقوله وقوله وما وعدت اي ولا يغرنك ما وعدتك
اياه ايضا ويقال وعد بغير الف في جانب الخير كما هو في
هذا الموضع ومنه قوله تعالى ووعدنا موسى ثلاثين
ليلة وربما وقع في جانب الشر بغير الف ايضا اذا دلت
عليه قرينة كما في قوله تعالى وان الكاذبا يصبكم بعض يك صح
الذي يعدكم وقوله ان الاماني والاحلام تضليل بكسر
الهمزة من ان تعليل لقوله فلا يغرنك ما منت وما
وعدت والاماني بتشديد الياء جمع امنية يقال تمنيت
الشي اتمناه اذا اشتهي حصوله وحدثته به نفسه
ومنه قوله تعالى ام للانسان ما تمنى والاحلام جمع حلم
بضم الحاء واللام وهو ما يراه النايم ويقال منكم حلم
بفتح الحاء واللام جميعا الا ان غلب الرويا على ما يراه
في الخير والحلم على ما يراه في الشر ومنه قوله تعالى اضغاث
احلام ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم الرويا
من الله والحلم من الشيطان والتضليل تفعيل من الضلال
والمراد التضييع والابطال ومنه قوله تعالى هم درجات
عند الله ذو درجات عند الله ومعنى البيت لا تغتر
بما توحيه اليك من زخرف القول وكذب الوعد ولا
تعلق خاطرك بذلك ان الاماني الذي يتمناها الانسان
والاحلام التي يراها في منامه تضييع زمان ولا فايدة

فيه

فيه ولا طايل تحته وذلك انه وصفها في البيت السابع
والثامن والتاسع بتسعة اوصاف وهي الاصابة بالمكروه
والكذب واخلاف الوعد وتبديل خليل باخر وعدم المداومة
على حالة والتلون في الود وعدم الوفا بالعهد على ما تقدم
بيانه في مواضعه ومن كان بهذه الصفة لا ينبغي ان
يوثق له بقول ولا يتعلق له بوعد ومن تعلق بالاماني
ووقف مع التمني فقد طمع في المحال وامل ما لا يرجى فاتعب
نفسه وشتت خاطره ولما نهي عن الاغترار بما تمنيه
وما تعده اكد ذلك بقوله ان الاماني والاحلام تضليل
بمعنى ان الاماني راجعة الى قوله ما منت والاحلام
راجعة الى قوله وما وعدت ويكون من باب اللف والنشر
الاول للاول والثاني للثاني ويكون قد شبههما في الامرين
بشيئين باطلين لا حقيقة لهما اما الاماني فانها مخايل
فاسدة وضياع زمان في غير ما لا فايدة فيه قال علي
ابن عبيد الاماني مخايل الجهل وقال افلاطون الاماني
حلم المتيقظ ومن كلام بعض الحكما الاماني تخدك وعند
الحقايق تدعك وقال رجل لابن سيرين رايت كاني
اسبح في غير ماء واطير في غير هواء فقال انت رجل تكثر
الاماني ولله در الخالدي حيث يقول

ولا تكن في الدنيا عبد المنا ابدا ان المنا راس اموال المفاليس
الا ان العاشق ربما استراح اليه وعلل به نفسه كما يعلل

نفسه في طول العمر بالامل كما قال بعضهم

في المناداحة وان عللتنا ٭ من هواها ببعض ما لا يكون

ولله در الحارثي حيث يقول

امانى من سعدى حسان كانما ٭ سقتنا بها سعدى على ظمإ بردا

ميني ان يكن حقا يكن احسن المنى ٭ والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

واما العلم بالمحبوب وزيارة طيفه في المنام فانه الخال الحايل والوصال الذي ليس تحته طايل ولله در القايل

زارني طيف من اهوى على جلد ٭ من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا

فكدت اوقظ من حولي به فرحا ٭ وكاد يمتك ستر الحب بي شغفا

ثم انثنيت واملي ان يطيف بي ٭ نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا

وقول ابن الغطان البغدادي

زار الخيال تخيلا من مرسله ٭ لما شفاني منه الضم والقبل

ما زارني قط الا كي يوافقني ٭ على الرقاد فينفيه ويرتحل

ولما كان الطيف بهذه المثابة لم يرضه بعضهم بل نفاه وطرده كما قال طرفة بن العبد

فعل الخيال الحنظلية ينقلب ٭ اليها فاني واصل حبل من وصل

على ان بعض المحبين يأنس بالخيال ويتسلى به كما قال البحتري

اذا اما الكرا اهدي الي خياله ٭ شفاعلة التبريح او تنع الصدا

ولم ار مثلنا ولا مثل شاتنا ٭ نعذب ايقاظا وننعم هجدا

بل بالغ التهامي حتى فضله على اليقظة فقال

ووصل الخيال وصل الخؤدان تخلت ٭ سبان ما اشبه الوجدان بالعدم

الطيف

٭ الطيف احسن وصلا ان لذته ٭ تخلو عن الاثم والتنغيص والندم ٭

البيت الحادي عشر

٭ كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ٭ وما مواعيدها الا اباطيل ٭

قوله كانت اي صارت ومواعيد جمع ميعاد كموازين وميزان وعرقوب بضم العين واسكان الراء وضم القاف وبعد الواو باء موحدة رجل عرف عند العرب باخلاف الوعد واشتهرت حكايته واختلف في نسبه فقيل هو عرقوب بن معبد بن زهير وقيل عرقوب بن صخر ثم اختلف فيه فقيل هو من الاوس وقيل من العمالق وقيل من بني عبد شمس بن ثعلبة وكان من امره انه وعد اخاله بيثرب شيا وقال اتيتني اذا اطلع النخل فلما اطلع اتاه فقال اتيتني اذا ابلح فلما ابلح اتاه فقال اتيتني اذا ارطب فلما ارطب اتاه فقال اتيتني اذا التمر فلما صار تمرا جذه من الليل ولم يعطه شيا فضرب به المثل في الاخلاف فقيل اخلف من عرقوب وتداوله العرب في شعرهم فقال السماخ ٭

٭ ووعدتني مالا احاول نفعه ٭ مواعيد عرقوب اخاه بيثرب ٭

وقال علقمة الاشجعي

٭ وعدت وكان الخلف منك سجية ٭ مواعيد عرقوب اخاه بيثرب ٭

والمثل مما حاكيت به شيا كان ولذلك قيل للصور المنقوشة تماثيل وقوله وما مواعيدها اي وما مواعيد سعاد

ويروي ومامواعيده بمعني ومامواعيد عرقوب والاباطيل
جمع باطل والباطل ضد الحق ومعني البيت ان هذه المراة
اشتهرت باخلاف الوعد كما اشتهر بد عرقوب فصارت شبها
له في ذلك حتي لوضرب بها المثل كانت جديرة به ثم انشد وما
مواعيدها علي الرواية المشهورة كان ذلك تاكيدا لاخلافها
الوعد فانه بعد ان ضرب لها عرقوب مثلا في الاخلاف
ذكر ان مواعيدها باطلة لاحقيقة لها ولم يكتف بضرب
المثل بها حتي وصف مواعيدها بالاباطيل فكانت اسوء
حالا في المطل والاخلاف منه وما اولاها بقول القايل

لوان الباخلين وانت منهم ... رأوك تعلموا منك المطالا

وان انشد ومامواعيده علي الرواية الاخري كانت مماثلة
لعرقوب في المطل من غير زيادة عليه واعلم ان المحبين
اختلفوا في مطل المحبوب علي مذاهب فقوم يحملهم طلب
اللقا وعدم احتمال الجفا علي مناقشة الحبيب علي اخلافه
ولومه علي عدم موافاته كما قال ابن سنا الملك يخاطب محبوبه

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني ... واشمت بي من كان فيك يلوم

وعلي هذه الطريقة جري الناظم رضي الله عنه في قصيدته
واكثر فيها من اخلاف الوعد وتقريعها من قوله في البيت
السادس اكرم بها خلة لوانها صدقت موعودها البيت وقوم
يستعذبون المطل ويستحلون كواذب الاماني ويتسلون

به عن الوصل كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض

عديني بوصل وامطلي بنجازه ... فعندي اذا صح الهوى حسن المطل

واخرون يعدون الوعد والاماني سبب الحياة عند فوات
الوصل كما قال العفيف اسحق

لولا مواعيد آمال اعيش بها ... لمت يا اهل هذا الحي من زمن

وكان ذلك باختلاف رتب المحبين في القرب والبعد والقوة
والضعف البيت الثاني عشر

ارجو وآمل ان تدنو مودتها ... وما اخال لدينا منك تنويل

قوله ارجو اي يغلب علي ظني تقول رجوت الشيء ارجوه رجا
بالمد اذا غلب علي ظنك حصوله وقوله وآمل بمد الهمزة وضم
الميم معناه ارجو ايضا يقال امّلت الشيء آمّله بضمها مع
المد الا ان الرجا لا يكون الا في الممكن والامل يكون في الممكن
والمستحيل ولذلك حسن الجمع بينهما لحصول مغايرة ما
ثم ان جعل قوله في البيت الحادي عشر ولا يغرنك خطابا
لنفسه وان التفت من الخطاب في قوله في اول القصيدة
فقلبي اليوم متبول الي قوله فلا يغرنك الي المتكلم في قوله
ارجو وآمل ويكون قد رجع الي حال التكلم الاولي وان جعلنا
قوله فلا يغرنك خطابا لغيره فلا التفات كما لا يكون التفات
هناك وقوله ان تدنو اي تقرب وقوله مودتها اي مودة
سعاد والمودة خلاف العداوة وقوله وما اخال اي وما
اظن واخال بكسر الهمزة علي الافصح ويجوز فتحها وهي لغة

شاذة وقوله لدينا اي عندنا ومنه قوله تعالى والفياسيدها
لدا الباب اي عند الباب وقوله منك والتقدير ارجو وآمل
ان تدنو مودتها وما اخال لدينا منها تنويل والتنويل العطا
والمراد هنا الوصل والمعنى ان مع اتصافها بالجفا واخلاف
الوعد وعدم الوفا بالعهد لا اقطع الرجا من مودتها
ولا آيس من وصلها بل ارجو ذلك وآمله وان كان فيه
بعد وبيانه من وجهين احدهما انه لما وصفها باوصاف
القطيعة والجفا في اول البيت السابع الى اخر البيت الحادي
عشر على ما تقدم بيانه في مواضعه اخذته دهشة المحبة
فذهل عما هي عليه من ذلك فتعلق بالرجا وجنح الى الامل
فقال ارجو وآمل ان تدنو مودتها اذ لا يليق بالشخص ان
يقطع رجاه من مطلوبه فقد قيل من طلب شيا ناله او
كاد بل ربما كان غير المرجو اقرب الى الحصول من المرجو
قال الحسين بن علي كرم الله وجهه كن لما لا ترجوه ارجى
منك لما ترجوه فان موسى عليه السلام خرج يقتبس نارا
فلم يظفر بها ورجع نبيا مرسلا ولله در القايل

وقد جمع الله الشتيتين بعدما ... يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

ثم آب الى عقله فتذكر ما هي عليه من الاوصاف المخالفة لذلك
فقال وما اخال لدينا منك تنويل وهذا النوع يسمونه اهل
البديع الرجوع لانه يرجع الى كلامه السابق بالنقض كقول
ابن الطثرية

اليس قليلا نظرة ان نظرتها ... ولكن قليل ليس منك قليل

فانه اولا استقل النظرة ثم تذكر ان ذلك ذهول منه حيث
عد النظرة من محبوبه قليلا فقال وليس منك قليل الثاني
ان يكون الرجا والامل وقعا منه على سبيل تعليل النفس ومراوحتها
كيلا يغلب عليها الياس كما قيل

اعلل بالمنى قلبي لعلي ... اروح بالاماني الهم عني

واعلم ان وصلك لا يرجى ... ولكن الاقل من التمني

فان قيل كيف ساغ له نفس حصول المودة بقوله وما اخال
لدينا منك تنويل بعد رجايه بقوله ارجو وآمل ان تدنو
مودتها فالجواب عنه من وجهين احدهما ما اجاب عنه ابن
هشام ان المودة والتنويل شيان لا شي واحد ولا يمتنع
ان توده بقلبها وتمنعه من نوالها الثاني ان يكون نفس
حصول التنويل من حيث بعدها وتروح ارضها كما اشار
اليه في البيت الذي يليه

البيت الثالث عشر

امست سعاد بارض لا يبلغها ... الا العتاق النجيبات المراسيل

قوله امست يحتمل معنيين احدهما ان يكون المراد دخلت
في وقت المسا فيكون مقابلا للغداة من قوله في البيت الثاني
من القصيدة وما سعاد غداة البين اذ رحلوا ويكون المعنى
انها ارتحلت غدوة وامست بارض بعيدة ويكون قد وصفها
في رحيلها بسرعة السير بحيث صارت في اليوم الواحد مسافة

لاتدرك الا علي العتاق النجيبات المراسيل من الابل علي ما ياتي
تفسيره خصوصًا وقد تقدم في البيت الثاني انه عبر عن رحيلها
بلفظ الجمع اشارة الي انها دخلت مع قومها والقوم انما يرحلون
في الغالب باثقالهم فاذا بلغت المسافة البعيدة علي الابل المثقلة
كان ذلك في الغاية القصوي من سير الابل التي رحلت بها
وسرعة سيرها الثاني ان يكون امست بمعني صارت ويكون
المراد انها وصلت في رحيلها الي ارض بعيدة في الجملة من غير
تقدير وهو ابلغ في بعد المسافة لان الوصف مستلزم لطول
زمن السير وهذا هو الظاهر وسعاد هي المحدث عنها اولًا
واعاد اسمها هنا بعد قوله ان تدن تودتها بلفظ الغيبة
لانه قصد استيناف نوع اخر من الكلام وهو وصف ارضها
بالبعد وذكر ما يتوصل الي ذلك من وصف الناقة وقوله بارض
كما في قوله تعالي وما كنت بجانب الغربي اي في جانب الغربي
وقوله لا يبلغها الا العتاق اي لا يبلغ تلك الارض الا النوق
العتاق من الابل ومعني يبلغها يوصل اليها والعتاق بكسر
العين جمع عتيق وهي الكرام الاصول من الابل لانها عتقت
عن العيوب والمراد ما كان منها منسوبا الي نتاج فحل كريم
كالمهرية منسوبة الي مهرة قبيلة من قضاعة والعبيدية
نسبة الي بني العبيد وهي مهرة ايضا والارحبية نسبة ايضا
الي بني الارحب وهي قبيلة من همدان وهي قبايل معروفة
بكرام الابل والعزيزية والشدقمية والجزيلية والداغرية

نسبة

نسبة الي عزيز وشدقم والجزيل وداغر وهي فحول كريمة
والنجيبات باسكان الياء جمع نجيبة قيل هي الكريمة الاصل
ويكون تاكيدًا لقوله العتاق وقيل القوية الخفيفة السريعة
وقيل النفيسة الفاضلة في نوعها ويروي النجيبات
بتشديد الياء وهي السريعات والمراسيل بفتح الراء وكسر
السين اذا كانت سريعة ومعني البيت ان محبوبته صارت
الي ارض بعيدة لا يوصله اليها الا النفايس من الابل القوية
السريعة السير لبعد مسافة ما بينه وبينها ثم معني البيت
يرجع الي مقصدين الاول فراقها بقوله بانت سعاد ثم
اتبعه بالثاني بذكر رحلتها بقوله وما سعاد غداة البين
اذ رحلوا واتي علي ذكر اوصافها المحمودة من الحسن والجمال
الذي لا يلوم علي العشق معه لايم ولا يليق عند الانصاف
ان يعذل معه عاذل ثم اعقبه بذكر اوصافها في العشرة
من الصد والجفا وما في معناه في الابيات المتعددة بعد
ذلك ثم اعقبه بذكر ما حملته عليه المحبة من الطمع والامنية
بقوله ارجو وامل ان تدنو مودتها ثم استبعد ذلك في
تعيينه لو كانت قريبة ربما امكن استعطافها بالتودد
والتملق وغيرهما من اسباب الوصلة والكتفي بالنظر ان امكن
والاقنع بقرب الدار ولله در القائل

وقد زعموا ان المحب اذا دنا ... يمل وان النائي يشتفي من الصد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... علي ان قرب الدار خير من البعد

واعلم ان بعد الاحباب عذاب واذا كان المحب مع قرب الدار
لايشفي غليله ولا يشفا عليله فكيف يصبر على البعاد او يلذ له طيب
الرقاد وكيف يطيق البعد من يقول

وكدت وهو ضجيعي ان اقول له ٭ من شدة الحب قد ابعدت فاقترب ٭

او من يقول

٭ سريت اليه في الظلام كانه ٭ صريع كري والنجم في الافق شاهد ٭
٭ فلولا ان روحي مازجت ثم روحه ٭ لقلت ادن مني ايها المتباعد ٭

او من يقول

٭ ومن عجبي اني احن اليهم ٭ واسال عنهم من راي وهم معي ٭
٭ وتظلمهم عيني وهم في سوادها ٭ ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي ٭

المقصد الثاني في ذكر البعد بحيث لا يبلغ المقصد اليها الا بالابل
دون غيرها بالاوصاف المتقدمة والاشارة في البعد فيه من
وجهين الاول اختيار الابل لها دون غيرها بالاوصاف المتقدمة
من انواع المراكب فان الخيل وان كانت اسرع منها سيرا فانها
في العدو والاسراع على المسافة القصيرة بخلاف الابل فان لها
قوة على طول السير مع الاسراع مع ما ينضم الى ذلك من طاقة
حمل الاثقال وناهيك ما اخبر الله تعالى به عنها من تبليغ
المسافة البعيدة بقوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه الا بشق الانفس الوجه الثاني وصف الابل الموصلة
اليها بالاوصاف العديدة التي ذكرها لان كل نوع من الابل
يوصل اليها وقد وصف الابل الموصلة بثلاثة اوصاف

وهي

وهي العتاق النجيبات المراسيل والى هذا الوصف ترجع سائر
الاوصاف المحمودة وهي راجعة باعتبار تفاسيرها المتقدمة
الى اربعة اوصاف هي المعتبرة في اوصاف الابل كونها كرام
الاصول وهو المعنى بالعتاق وذلك ان الكريم الطيب الارومة
لا يصدر عنه الا كريم الفعال كما ان لئيم الاصل لا يصدر عنه
الا ضد ذلك كما قيل

٭ كل امرء راجع يوما لشيمته ٭ ان التخلق يابى دونه الخلق ٭

وما زالت العرب تعتبر طيب الاصل وكرم المجد في ابلها وخيلها
كما تعتبره في نفسها الوصف الثاني كونها قوية لانها كلما
كانت اقوى واصلب كانت على الحمل اقوى وعلى السير اقدر
فتكون على القصد اعون بخلاف ما اذا سلبت وصف القوة
فانها لا تبلغ الى المقصد وان كانت سريعة لانها ربما تكون
لا تطيق الحمل ولكنها خفيفة في السير

٭ البيت الرابع عشر ٭

٭ وما يبلغها الا عذافرة ٭ لها على الاين ارقال وتبغيل ٭

قوله وما يبلغها الا عذافرة اي وما يبلغ الارض التي امست
بها سعاد الا ناقة عذافرة والعذافرة بضم العين وفتح
الذال وبعد الالف فاء وراء مفتوحتان الناقة الصلبة
العظيمة والجمل العذافر اذا كان كذلك وقوله لها اي لتلك
الناقة والاين بفتح الهمزة واسكان الياء التحتية وبعدها
نون الاعياء والتعب والارقال بكسر الهمزة واسكان الراء

المهملة وقاف بعدها الف ولام ضرب من السير سريع قال
الجوهري هو نوع من الخبب وتبعه على ذلك ابن هشام
كما قال ذلك في بيت من قصيدة للصرصري

هل يبلغني اليها حسرة احد ۔ يخلو بها في الفلا الارقال والخبب

قال ابن الاثير هو فوق الخبب وفسر في كفاية المتحفظ الخبب
بان يرتفع عدو البعير حتى يراح بين يديه واعلم ان سير
الابل في الاسراع على مراتبها فاولها العنق بفتح العين
والنون وقاف في اخره وهو الذي يتحرك فيه عنق البعير
ودونه وما اعلاه وساير مراتبه فللناس فيه اختلاف
لا يحتمله هذا الشرح والذي ذكره ابن اصبغ الازدي في
ارجوزة تمان اعلاه التشعير بفتح التا المثناة فوق والشين
المعجمة وضم العين المهملة المشددة وبعده راء مهملة وهو
غاية الطاقة في السير قال والارقال دونه في المرتبة
والتبغيل بفتح التا واسكان الباء وكسر الغين بعدها ياء
ساكنة ثم لام ضرب من السير ايضا فيه اختلاف بين العنق
المتقدم ذكره وبين الهملجة فيكون اعلا من العنق وكانه
شبهه بسير البغل لشدته ومعنى البيت انه لا يبلغ ارض
سعاد الا الناقة الشديدة التي لا تكل بالتعب ولا يضعف
سيرها بالاعيا يلوح بذلك لناقته ولما توسم موصل
له الى محبوبته وبالغت به الى قصده اطنب في مدحها وامعن
في وصفها في هذا البيت بوصفين من اوصاف الابل الحميدة

الوصف

الوصف الاول كونها عظيمة صلبة وهو المعنى بالعذافرة
واما كونها عظيمة فلما فيه من الزين والجمال المتمنى في الابل
بقوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون
وربما كان ايضا دليل القوة واما كونها صلبة فلانه دليل
القوة وكثرة الحمل وناهيك ان الله تعالى قرنها في الذكر
والامتنان بالسفن اشارة الى عظم خلقتها وطاقتها على
الحمل فقال عز وجل وخلق لكم من الفلك والانعام ما تركبون
الوصف الثاني كونها لا تضعف بكثرة السير وهو المعنى
بقوله لها على الاين ارقال وتبغيل وذلك انه اذا كان
سيرها مع الاين وهو التعب على هذين الضربين السريعين
من السير فما ظنك بها اذا كانت في حال نشاطها ثم قد
تقدم ان غاية الطاقة في السير التشعير والارقال دونه
في المرتبة والتبغيل فوق العنق فيكون سيرها في حالة
التعب دايرا بين الارقال الذي هو اعلا مراتب السير
بعد التشعير والتبغيل فوق العنق والمعنى انه اذا اشتد
بها التعب يكون غاية ما ينتهي اليه في تقليل السير التبغيل
واذا خف تعبها ترقت الى الارقال وفي حالة النشاط يكون
سيرها التشعير فاذا كانت عظيمة صلبة مع اشتمالها
على الخفة والاسراع وعدم الاعيا وجمدت نفسها في السير
على هذا الاسلوب بلغ بها الى المدا البعيد في الزمن القصير

البيت الخامس عشر

من كل نضاخة الذفري اذا عرقت ، عرضتها طامس الاعلام مجهول

قوله من كل نضاخة الذفري اي الناقة المذكورة من كل ناقة نضاخة الذفري بالعرق اذا عرقت ثم هو محتمل معنيين اما ان يريد انها ناقة من النياق المتصفة بهذه الصفة واما ان يريد ان اصل وجودها من كل ناقة وهي كذلك ويكون ذلك وصفا لها لانه وصفها بكرم الاصل وهذا هو الذي رجحه ابن هشام في اعرابه القصيدة والنضاخة بفتح النون وتشديد الضاد وبعدا لالف حاء ثم تاء التانيث الكبري الكثيرة السيلان يقال عين نضاخة اذا كانت كثيرة الماء الغوارة ومنه قوله تعالي فيهما عينان نضاختان والذفري بكسر الذال المعجمة واسكان الفاء والراء المهملة وهي النقرة التي خلف اذن الناقة والبعير وهي اول ما يعرق منها واقام المفرد فيه مقام التثنية والمعني نضاخة الذفري لان لكل ناقة ذفرتان وقوله اذا عرقت اي انها اذا عرقت تنضح ذفراها بالعرق وكانه يصفها بشدة جمد نفسها في السير حتي يصير العرق من ذفريتها وقوله عرضتها طامس الاعلام مجهول اي عرضتها طامس الاعلام مجهول اي عرضة تلك الناقة وهو بضم العين واسكان الراء وفتح الضاد وقد ذكر التبريزي في تفسير هذا البيت معنيين الاول انه من قولهم بعير عرضة للسفر اي قوي عليه وعلي هذا اقتصر ابن الاثير في نهايته ويكون المعني ان لها قوة معرفة الطريق الدارسة الثاني

انه

انه من العارض الذي يعرض للشي فيمنعه ومنه قوله تعالي ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا اي لا تجعلوا الحلف بالله متعرضا ما بين اقوالكم ان تبروا ويكون المعني اذا عرض لها طريق دارس استخرجته قال ابن هشام ولا مساغ لواحد من المعنيين فالعرضة ههنا بمعني الهمة فيكون عرضتها في البيت معناه همتها ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

، وقال الله قد عددت جندا ، من الانصار عرضتها اللقاء ،

والطامس الاعلام المراد به الطريق الدارس الذي محيت اثاره والاعلام العلامات والمراد ما يستدل به علي الطريق من اثر مشي وغيره والمجهول الذي لا يعرف وهو تاكيد لقوله طامس الاعلام مجهول ضرورة ومعني البيت ان هذه الناقة لها اهتمام بالسير ومعرفة بالطريق المجهولة التي لا تدرك وذلك انه وصفها فيه بوصفين الوصف الاول كثرة العرق من ذفريتها والعرق لا يكون الا مع اشتداد في السير واهتمام به خصوصا مع ما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة لان العرق مع القوة لا يكون الا من كثرة كد وشدة سير وناهيك ما وصف به من ذفراها من النضح الذي هو في غاية الكثرة علي ما تقدم تفسيره الوصف الثاني المعرفة بالطرقات الطامسة الاعلام الذاهبة الاثار لكثرة الاسفار وسلوكها المفاوز وهذا وصف شريف من اوصاف الابل فربما ضل الراكب

عن الركب لنوم او غيره فتذهب عليه معرفة الطريق فيهلك
فاذا كانت ناقته لها دربة بمعرفة الطريق نجت به من
تلك المفازة وخلصته من الهلكة وقد حكي ابو علي بن سينا
انه كان في ركب فضلوا عن الطريق في مفازة عظيمة كادوا
يهلكوا فيها فعمدوا الى بعير كان معهم فالقوا زمامه
على غاربه فارسلوه فسار بهم ومازال يقفو الطريق
حتى خلص بهم الى المقصد الذي كانوا يقصدون فسبحان الملهم

البيت السادس عشر

ترمي الغيوب بعيني مغرد لهق اذا توقدت الحزاز والميل

قوله ترمي الغيوب اي ترمي تلك الناقة الغيوب والغيوب
بضم الغين واليا وبعد الواو باء موحدة جمع غيب كغلوس
جمع فلس او جمع غايب كشهود جمع شاهد والمراد اثار الطريق
التي غابت معالمها عن العيون وخفيت عن الابصار وقوله
بعيني مغرد اي ترمي الغيوب بعينين مثل عينين مغرد
وهو الثور الوحشي الذي انفرد عن انثيته وغلب عليه
وصف المغرد كما غلب الاعشى على الظبا واللهق بفتح الهاء
وكسرها الابيض ووصف الثور بكونه ابيض والتوقد المراد
هنالك اشتداد الحر تشبيها له بتوقد النار والحزاز بكسر
الحاء وفتح الزاي وبعد الالف زاي ايضا جمع حزيز بحاء
مهملة مفتوحة وزايين بينهما ياء مشناة تحت الغليظ
الصلب من الارض والميل بكسر الميم جمع ميلا بفتحها وهي

ما تعقد

ما تعقد من الرمل وتراكم ومعنى البيت ان هذه الناقة
اذا اشتد الحر وتوقدت الرمال والامكنة الصلبة حر
الهواجر وقرن العيون لشدة تاثير الشمس كانت حينئذ
في غاية تحدق البصر لمعرفة الطريق الدارسة الاثار
وذلك انه لما ذكر في البيت الذي قبله ان همتها الطريق
الطامس الاعلام المجهول المسالك بين في هذا البيت وجه
اهتمامها بذلك فشبهها بالثور الوحشي الذي قد الف
الفلوات وخبرها بكثرة مروره فيها واعتاد الصبر على
شدة الحر فلم يكن الحر يقدح في بصرها ولم يوثر في عينيها
بان كان همتها ما هي عليه من استخراج المغيبات في الطريق
وخفي المسالك حتى انها بمجرد رمي بصرها الى الارض تدرك
الطريق وتبين السبيل فما ظنك بها في غير هذه الحالة
فان قيل لم خص الثور الوحشي بالتشبيه به في حدة
البصر دون غيره من الحيوانات ولم خصه بذلك في حالة
تفرده دون غيرها الجواب ان الثور الوحشي من احد
الوحوش نظرا واذا انفرد عن انثاه يكثر حينئذ تحديقه
في النظر ويقوي نشاطه وخفته فان قيل لم خصه بالبياض
ولا مدخل للون في تشبيهه الناقة بالثور في حدة البصر
فالجواب في ذلك معنى اخر غير تحديق النظر وحدته
وهو الحسن لان عين البقرة الوحشية في غاية السواد
فاذا كان الثور منها مع سواد عينيه ابيض كان في غاية

الحسن ، البيت السابع عشر ،

، ضخم مقلدها عبل مقيدها ، في خلقها عن بنات الفحل تفضيل ،

قوله ضخم مقلدها اي ما يبلغها الاناقة عذاوة ضخم مقلدها والضخم بفتح الضاد واسكان الخاء الغليظ والمقلد بضم الميم وفتح القاف وتشديد اللام موضع القلادة من العنق ويجوز ان يريد جميع العنق تشبيهًا للكل باسم الجزء ويويده قوله في البيت الذي يليه غلبآء فان المراد بها الغليظة العنق كما ياتي في موضعه ان شاء الله تعالى وقال ابو هلال العسكري في كتابه الصناعتين ان وصف المقلد بالغلظ من خطاء الوصف وانما توصف النجايب برقة المذبح فتعين حمله على جميع العنق وقوله عبل مقيدها اي مقيد تلك الناقة والعبل بفتح العين واسكان الباء الغليظ ايضا والمقيد بضم الميم وفتح القاف وتشديد الياء موضع القيد منها ويروي فعم بفتح الفاء واسكان العين المهملة بدل عبل وهو معناه وقوله في خلقها من بنات الفحل تفضيل اي في خلق تلك الناقة عن بنات الفحل والخلق بضم الخاء واسكان اللام بمعنى الخلقة والمراد بها الاناث من الابل والفحل المراد فحل الابل المعد للضراب والتفضيل المراد به الزيادة في الفضل وهو يحتمل المعنيين الاول ان يريد انها مفضلة على غيرها في عظم الخلقة والضخامة الثاني ان يريد به انها مفضلة على غيرها في حسن التكوين ويحتمل ان يريد بهما جملة ومعنى البيت ان هذه

الناقة

الناقة في غاية القوة والضخامة والحسن على ما يقتضيه تفسير كلامه وذلك انه وصفها بثلاثة اوصاف الوصف الاول ضخامة المقلد وقد تقدم ان الظاهر المراد به جميع العنق وضخامة العنق دليل ضخامة جميع هامتها وعظمها الوصف الثاني عبالة المقيد على ما تقدم تفسيره وغلظ ذلك منها موذن بقوتها وصبرها على السير وطلاقتها على اكثر الحمل الوصف الثالث تفضيلها على غيرها من الابل فان حملناه على عظم الخلقة وكبر الهامة كان في معنى ما تقدم من ضخامة المقلد وعبالة المقيد ويكون بين اجزايها مناسبة وهو من صفات المدح ايضا بخلاف ما اذا كان بعض اعضايها لا يناسب بعضا في الضخامة والرقة فانه مما يذم وان حملناه على حسن التكوين كانت قد جمعت بين ذلك وبين القوة في قوله عبل مقيدها كما تقدم وان حملناه على عظم الخلق وحسن التكوين جميعًا كانت قد جمعت بين القوة وعظم الخلق وحسن التكوين والله اعلم بالصواب

البيت الثامن عشر ،

، غلبآء وجناء علكوم مذكرة ، في دفها سعة قدامها ميل ،

قوله غلبآء الخ اي وما يبلغها الاناقة عذاوة غلبآء والغلبة بفتح الغين واسكان اللام وبعد الباء الف وهي الغليظة العنق وقد يجري في غير العنق ايضا كما في قوله تعالى وحدايق غلبًا اي غليظة الاشجار والوجناء بفتح

الواو واسكان الجيم وبعد النون الف محتملة لمعنيين احدهما
ان يريد به العظيمة الوجنتين وهو ما صلب من الارض
والعلكوم بضم العين واسكان اللام المشددة وهو من
الاوصاف المخصوصة بالابل ويستوي فيها الذكر والانثى
والمذكرة بالذال وفتح الكاف المشددة التي هي في عظم خلقتها
كالذكر من الاباعر وقوله في دفها سعة والدف بفتح الدال
والفا المشددة الجنب والمراد جنباها جميعا والسعة بفتح
السين ضد الضيقة قوله قدامها ميل ضد خلف والميل
بكسر الميم مد البصر وهو مقدر بالذرع باربعة الاف ذراع
قدره بنو العباس حين افضت الخلافة اليهم لقياس الارضين
ونسب الى بني هاشم لكون بني العباس من جملتهم وما وقع
لبعض اصحابنا الشافعية من نسبته الى هاشم جد النبي
صلى الله عليه وسلم نسب فيه الى الوهم وقال ابو القاسم
الزجاجي في شرح مقدمة ادب الكاتب وهو ذراع وذلك
بذراع اليد ووقع في كلام الجيلي الشافعي انه ذراع بذراع
اليد والظاهر الاول وهو اربعة وعشرون اصبعا كل
اصبع سبع شعيرات معترضات بطن احداهن لظهر
الاخرى والشعيرة سبع شعرات من شعر البرذون معترضات
بطنا لظهر وبالحظا اربعة الاف خطوة كل خطوة ثلاثة
اقدام وبالبرد باربعة برد كل برد ثلاث فراسخ وبالزمن
سير يومين معتدلين لا ليلة بعدها بسير الاثقال

ودبيب الاقدام قوله قدامها ميل للمبالغة في طوله وعليه
اقتصر ابن هشام في شرحه الثاني ان يريد سعة الخطوات
وان مقدار خطوتها مد البصر قال بعضهم يصف فرسا

كم ساع اعددته فوجدته ٭ يوم الكريهة وهو نشوان طير ٭
لم يرم قط بطرفه في غاية ٭ الا وسابقه اليها الحافر ٭

ومعنى البيت انها مشتملة على القوة والصلابة وذلك
انه وصفها بستة اوصاف الاول غلظ العنق وهو المعني
بقوله غلبا على ما تقدم ذكره وقد تقدم في البيت الذي
قبله ما يوافقه من تفسير قوله ضخم مقلدها فيكون
هذا الوصف قد تكرر معه في بيتين متواليين وهو اخف
من تخصيص المقلد بموضع القلادة على ما تقدم من كلام
العسكري ان النجابيب انما توصف برقة المذبح الوصف
الثاني عظم الوجنتين وهو المراد بالوجنا على ما تقدم
وهو من الاوصاف المحمودة في الابل بخلاف الخيل فانه
يحمد فيها قلة لحم الخدين فان حمل لفظ الوجناء على
الصلبة وهو التفسير الثاني فيها كان ذلك موافقا
لاحد امرين في العذافرة في البيت الرابع عشر ان المراد
بها الصلبة العظيمة على ما تقدم الوصف الثالث كونها
شديدة وهو المراد بالعلكوم وهو المراد بالقوة وقد
تكرر وصفها به فلا شك انه اعلا اوصافها الوصف
الرابع كونها عظيمة الخلقة وهو المعني بالمذكرة وقد

تكرر الوصف به ايضا على انه قد يراد بالمذكرة ما هو اعم
من عظم الخلقة فقد قال بعض الحكما ان المذكر من الابل احسن
خلقا واقل عبثا واعز نفسا واكرم عمدا وادوم وداوصبر
على المكروه النازل به من الانثى الوصف الخامس كونها
واسعة الجنبين وهو موكد للوصف الرابع لاستلزام عظم
الخلقة الوصف السادس طول العنق وهو المراد بقوله
قدامها ميل على احد التفسيرين فيه وفيه من تمام حسنها
ويكون قد وصفها في اول البيت بلفظ العنق وفي اخره
بطوله فاكمل لها الوصفين جميعا وان حملنا قدامها ميل على
سعة الخطوة كان وصفا لها بسرعة السير الذي هو المقصود
الاعظم ، البيت التاسع عشر ،

، وجلدها من اطوم مايوبسه ، طلح بضاحية المتنين ممزول ،

وقوله وجلدها من اطوم اي جلد تلك الناقة والاطوم بضم
الطاء بكل حال وهو بفتح الهمزة الزرافة وقيل السلحفاة
البحرية او سمكة غليظة الجلد يشبه جلد البعير الاملس
يتخذ منها الخفاف للحجالين ويخصف بها النعال ويكون التقدير
وجلدها من جلد كجلد اطوم وقوله مايوبسه طلح اي
مايوثر فيه طلح ويوبسه بضم اليا المثناة من تحت وفتح
الهمزة وتشديد اليا المثناة من تحت المكسورة وضم السين
والطلح بكسر الطا واسكان اللام وبعدها حاء مهملة القراد
وقوله بضاحية المتنين اي مايوثر الطلح المذكور في ضاحية

المتنين

المتنين والمراد بالضاحية البارزة للشمس والمتنين جانبا
ظهرها وهو ما اكتنف صلبها من يمين ومن شمال ومن
لحم ومن عصب وقوله ممزول مايوثر فيه طلح ممزول
ومعنى البيت ان هذه الناقة في غاية الصلابة لسمنها
وضخامتها بحيث ان القراد لا يوثر في جلدها وذلك انه
ان فسرت الاطوم الذي جعل جلدها منه بالزرافة
والسلحفاة البحرية او السمكة الغليظة الجلد كان وصفها
باغلظ جلد واصلبه وان فسرناه بالحصون المبنية بالحجارة
كان ابلغ في الصلابة ثم اكد ذلك من ثلاثة اوجه الاول انه
جعل ظهرها في هذه الحالة بارزا للشمس وهو المراد بالضاحية
على ما تقدم ذكره والمعنى فيه ان القراد في الشمس تقوي
همته وتهيج حركته واشتداده على امتصاص الدم بخلاف
حالة البرد فانه تضعف قوته فاذا عجز عن التاثير فيها
في حالة بروزها للشمس فلان يضعف في البرد اولى الوجه
الثاني لا يستطيع التاثير في جلدها مع شدة الجوع التي
هو فيها اشد انهما كما على امتصاص الدم واكثر ولوعا
والله اعلم بالصواب

، البيت العشرون ،

، حرف اخوها ابوها من مهجنة ، وعمها خالها قود آشمليل ،

قوله حرف اي تلك الناقة حرف والمراد بالحرف هنا حرف
الجبل وهو القطعة الخارجة عنه شبهها به لقوتها وانها

لا تتاثر بما يأتي عليها كما ان حرف الجبل لا يتاثر بما يأتي عليه
لصلابته اذ يقتدع ما حوله ويتساقط لطول الزمن
وحرارة الشمس واجحاف السيل ولا يبقى فيه الا اصلب الحجر
واشده ولا يجوز ان يراد بالحرف في كلامه حرف الكتابة
اشارة الى رقتها وضمورها لان ذلك ينافي ما تقدم من
وصفها بعظم الخلقة وسعة الجنب وغير ذلك وقوله
اخوها ابوها يحتمل معنيين الاول ان يريد اخاها يشبه
اباها في الكرم فتكون موصوفة بكرم النسب وجودة الاصول
الثاني ان يريد اخاها اباها حقيقة ويكون المعنى انها
من ابل كرام تحمل بعضها على بعض لحفظ اصولها وتصويره
ظاهر وهو ان يضرب فحل امه فتاتي بناقة فيكون ذلك
البعير ابوها وهو اخوها لامها وقوله من ممجنة اي
تلك مولدة من ناقة ممجنة او من نياق ممجنة بضم
الميم وفتح الها وتشديد الجيم المفتوحة وفتح النون
الكريمة الابوين من الابل وهو مما يمدح ههنا واصل
الممجنة عظم الخلق وعظم العنق والهجين من الخيل ما كان
ابوه عربيا وامه عجمية وهو عيب ونقص في الخيل وقوله
وعمها خالها يحتمل ايضا وجهين الوجه الاول ان عمها
يشبه خالها في الكرم الوجه الثاني ان عمها هو خالها
حقيقة وصورتها ان يضرب ابو ابيها ام امها فتاتي
ببعير فذلك البعير عمها لانه اخو ابيها لابيه وخالها

لانه

لانه اخو امها لامه ويمكن ان يصور بصورة اخرى وهي
ان اخاها من ابيها ضرب اختها من امها فانتج بعيرا
فيكون ذلك البعير عمها لانه اخو ابيها لابيه وخالها
لانه اخو امها لامه على ان مثلها بين الصورتين تتاتى
من الادميين في الانكحة الشرعية اما تصور ان يكون
اخوها ابوها وعمها خالها في صورة واحدة وهو
ان يضرب فحل بنته فتاتي ببعيرين فيضربها احدهما
فتاتي بناقة فابوها احد البعيرين وهو اخوها لامها
وعمها البعير الثاني لانه اخو ابيها لابيه وامه وخالها
لانه اخو امها لابيه وقوله قودا بالمد وهو بفتح القاف
واسكان الواو وبالدال المهملة الطويل الظهر والعنق
وقوله شمليل بشينين معجمة مكسورة وميم ساكنة
ولام مكسورة بعدها ياء ولام الخفيفة السريعة
ومعنى البيت ان هذه الناقة مع كرم اصلها خالصة
النسب لم يشبها شائبة في نسبها ولا تزعها عرق في
كرم وذلك انه جعل علامتها في النسب في الابوة والامومة
والاخوة راجع الى اصل واحد لم يخالطه غيره من ابل
اخرى بوسك ان تكون غير حسيبة واعلم انه قد صدر
البيت بقوله حرف وقد تقدم ان المراد بالحرف الصلبة
القوية ثم اتبعه بذكر نتاج نسبها اشارة الى ان مثل
ذلك يوثر في الابل القوة لرجوعها الى نسب تحقق فيه

ذلك الان مثل ذلك اذا وقع في الادميين اثر الضعف وخفة
البدن وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لاتناكحوا القرابة فان الولد تخلق ضاويا والضاوي الشديد
والمعنى فيه ان الشهوة انما تؤثر بقوة الاحساس بالنظر
واللمس وانما يقوي الاحساس بالامر الجديد الغريب
اما المعهود الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف
الحس عن تمام ادراكه والتاثير به فلا تتاثر الشهوة
وهذا المعنى مفقود في الابل فانها بمجرد شهوة من غير عقل
فكانت شهوتها في الغريب وغيره على حد واحد وانما
يعتبر فيها بقوة النجل واصالته ثم انه لما اثبت للناقة
كرم الاصل بقوله من ممحنة وخلوص النسب بقوله اخوها
ابوها وعمها خالها قارب لها ذلك على صفتين من صفات
كرائم الابل الصفة الاولى طول الظهر والعنق وهو المعني
بقوله قود اعلى ما تقدم تفسيره وهو من اوصاف
الابل التي يمتدح بها الصفة الثانية الخفة والسرعة
وهو المراد بقوله شملیل وهو من احمد الاوصاف التي
فيها فان قيل قد ذكر وصف الخفة والسرعة بقوله
النجيبات المراسيل على ما تقدم ثم اعاده هنا ووصفه
بطول العنق بقوله قود اجاب ان ذكر السرعة
اولا راجع الى الوصف العام في الابل حيث قال امست سعاد
بارض لا يبلغها الا العتاق البيت وذكرها هنا مقصور على

الناقة

الناقة المخصوصة وكيف ما كان فالخفة والسرعة هي
المطلوبة في الناقة بهذه الحالة اذ الغرض سرعة توصله
الى محبوبته مع بعد مسافة ما بينه وبينها واما وصف
طول العنق فانه في قوله قدامها ميل جعله وصفا مستقلا
بهذا المعنى وفي قوله قود اراد به طول الظهر وطول العنق
خاصة ، البيت الحادي والعشرون ،
، يمشي القراد عليها ثم يزلقه ، منها لبان واقراب زهاليل ،
قوله يمشي القراد عليها اي على الناقة والقراد بضم القاف
احد القردان كالغلام واحد الغلمان وقوله ثم يزلقه
منها لبان واقراب واللبان بفتح اللام قيل هو الصدر وقيل
وسطه وقيل ما بين الفخذين والمراد ان القراد يزلق
من هذا المكان والاقراب بهمزة مفتوحة وقاف ساكنة
وراء مهملة وبعد الالف باء موحدة الخواصر كابعاد جمع
بعد وقوله زهاليل لبان واقراب الجميع زهاليل والزهاليل
بفتح الزاي الملس ومعنى البيت ان جلد هذه الناقة في
غاية الملاسة لسمنها بحيث ان القراد لا يثبت عليها
بل اذا وقع على جسدها زلق وسقط عنه وذلك مما
يستحسن في اوصاف الابل وهذا البيت في الحقيقة موكد
لقوله وجلدها من اطوم البيت المتقدم قال ابن هشام
ولو ذكره الى جانبه كان اولى وذلك انه في ذلك البيت
وصف جلدها بالصلابة بحيث ان الطلح الذي هو القراد

لايوثر فيه لصلابته وهذا قد زايد علي ذلك وهو ملاسة
جلدها بحيث ان القراد يزلق من عليه فان قيل لم خص
الصدر والخواصر بازلاق القراد دون غيرها من سايره
بوجهين الجواب ان هذين الموضعين احسن ما يكون
في الناقة لملاستها الارض اذا بركت فاذا كان القراد
يزلق عنها لملاستها فلان يزلق عن غيرها من باب اولي
فان قيل عطف قوله يزلقه بثم وهي للتراخي لانك ان
قلت جاز يد ثم عمرو كان يقتضي ذلك ان بين مجيئهما
زمن مهلة فان كان كذلك فمقتضي قوله يمشي القراد عليها
ثم يزلقه منها بيان الي اخره ان القراد لا يزلق عنها بسرعة
بل يبقي زمانا الجواب ان ثم قد تقع في كلام العرب
لغير الامهال كما في قول الشاعر

كهز الرديني تحت العجاج ٭ جري في الانابيب ثم اضطراب ٭

اذ ليس المراد تاخير اضطراب الرمح عن زمن جريان هذه
الانابيب فكذلك لا يراد هنا تطاول زمن مشي القراد عليها
وتراخي الازلاق عنها والله اعلم

البيت الثاني والعشرون

٭ عيرانة قذفت بالنحض عن عرض ٭ مرفقها عن بنات الزور مفتول ٭

قوله عيرانة اي تلك الناقة عيرانة والعيران بالعين المهملة
واسكان الياء وبعد الالف نون ثم الف التانيث المشبهة
في صلابتها عير الوحش وهو حماره وقوله قذفت بالنحض

اي رميت به ومنه قوله تعالي ويقذفون من كل جانب دحورا
ويروي قذفت بتشديد الذال للمبالغة والنحض بفتح النون
واسكان الحا المهملة وبالضاد المعجمة اللحم وقوله من عرض
اي جانب والعرض بضم العين والراء وبالضاد الجانب والناحية
والمراد انها رميت باللحم من جوانبها ونواحيها من شدة السمن
وقوله مرفقها عن بنات الزور مفتول عن بنات زورها
والمرفق بكسر الميم وفتح الفاء معروف وهو مما قام فيه المفرد
ايضا مقام المثني لان لها في الحقيقة مرفقين والبنات جمع بنت
والمراد هنا ما حول الزور وما يتصل به من الاضلاع والزور
قيل جميع الصدر وقيل اعلاه والمفتول المنحاني والمراد ان
مرفقها جاف عن صدرها ومعني البيت ان هذه الناقة
تشتمل علي ثلاث صفات تكون في الابل المحمودة الصفة
الاولي شدة الصلابة بحيث انها تشابه حمار الوحش في قوتها
وصلابتها وذلك ان حمار الوحش من اشد الحيوانات قوة
واصلبها جسدا وقد تكرر له وصف الصلابة في الناقة في غير
موضع الا انه بالفاظ مختلفة فحسن التكرار في موقعها وقد
يريد بذلك التاكيد فان هذا الوصف هو المقصد الاعظم
من الابل علي ما تقدم ذكره قبل ذلك الصفة الثانية السمن
وهو المعني بقوله قذفت بالنحض عن عرض علي ما تقدم تفسيره
وقد تكرر له هذا الوصف ايضا بالفاظ مختلفة والمعني بتكراره
انه قد وصفها بالسرعة والخفة وجمد نفسها في السير فاذا

كانت خفيفة في السمن وسمنها لا يتاثر ولا ينقص مع طول السير
وقوته كانت في غاية النفاسة التي تكون خارقة للعادة
الصفة الثالثة تجافي مرفقها عما حول زورها وهو المعني
بقوله مرفقها عن بنات الزور مفتول والمعني فيه انه
اذا كانت مرفقاها متجافيان عن صدرها لا يصيبهما
ضاغط فيكون اسلم لها في السير وابعد لها عن العطب
والمفتول المدمج المحكم

البيت الثالث والعشرون

كانما فات عينيها ومذبحها من خطمها ومن اللحيين برطيل

ما في كانما اسم بمعني الذي موضعه نصب بكان والخبر
بقوله برطيل وفات قال ابو عمرو معناه تقدم وقال
الاصمعي الوجه كله فايت العينين ومذبحها منصوب
بالعطف علي عينيها والمذبح والمنحر واحد والخطم قال
ابو عبيد الانف ورد عليه ذلك فانه لا يختص بالانف
بل هو الموضع الذي يقع عليه الخطام فيشمل الانف وغيره
ونظيره تسميتهم الموضع الذي يقع عليه الرسن مرسنا
وقد يستعمل في الادمي كقول ابن العجاج يصف امراة

ازمان ابدت واضحا مغلجا اغر براقا وطرفا ابرجا
ومقلة وحاجبا مزججا وفاحما ومرسنا مسرجا

الابرج الذي بياضه محدق بالسواد كله فلا يغيب من
سواده شيء يقال امراة برجا بينة البرج ورجل ابرج

وجمعها

وجمعها برج بوزن البرج واحد البروج ولم يسمع وصف
الانف بالمسرج قبل العجاج واختلف اهل اللغة في معناه
علي ثلاثة اقوال احدها كالسراج في البريق والثاني
انه تحسين من قولهم سرج الله وجهه اي حسنه ولم يذكر
صاحب المحكم سواه والثالث انه كالسيف السربجي
في الرقة والاستواء وهو منسوب الي قبيلة يقال لها سرج
ولم يذكر النبوي غير هذا القول وقال الاصمعي ما كنت
اعرف المسرج ولا اسمعه الا في بيت العجاج فسالت عنه
اعرابيا فقال اتعرف السربجيات يعني السيوف فقلت
نعم فقال ذلك اراد انتهي وارجح الاقوال من حيث الصناعة
الثاني لان صفة المفعول لا تشتق من اسماء الاعيان
كالسراج وشذ نحو قولهم الي ذلك ولا من اسماء النسب
كالسربجي وانما يشتق من الفعل وارجحها من حيث المعني
الاخير لانه تعبير بامر مختص بالانف واللحيان بفتح
اللام العظمان اللذان ينبت عليهما اللحيتان من الانسان
ونظير ذلك من بقية الحيوانات والبرطيل بكسر الباء
معول من حديد ايضا او حجر مستطيل وصفها انتهي

البيت الرابع والعشرون

تمر مثل عسيب النخل ذا حصل في عارض لم تخونه الاحاليل

تمر بضم التاء المثناة من فوق مضارع امر منقول بالهمزة
من مر وفاعله ضمير الناقة ومثل صفة المحذوف اي

ذنبا مثل عسيب النخل وعسيب النخل جريده الذي لم يثبت
عليه الخوص فان ثبت يسمي سعفا واما عسيب في قول
امرء القيس

، اجارتنا ان الخطوب تنوب ، واني مقيم ما اقام عسيب ،
، اجارتنا انا غريبان ههنا ، وكل غريب للغريب نسيب ،
، فان نصلنا فالقرابة بيننا ، وان نهجرينا فالغريب غريب ،

هو اسم جبل دفن فيه امرء القيس وذا صفة ثانية او
هو المفعول ومثل حال منه وكانت في الاصل صفة له ثم
تعرفت عليه والخصل جمع خصلة من الشعر وفي معنى
علي كما في قوله تعالى في جذوع النخل وقول الشاعر

، يظل كان ثيابه في سرجه ، يحدي نعال السبت ،

والغارز معجم الطرفين المراد به هنا الضرع وجعل التبريز
اصله من عرزت الناقة بالفتح تعرز بالضم اذا قل لبنها
ولا ادري ما معنى الاصل وتخونه اصله تتخونه اي
تنتقصه لانه يقال تخونني فلان خفي بنا بين احداهما
كما حذفت من تتلون في قوله كما تلون في اثوابها الغول
والاحاليل بفتح الهمزة وبالحا مخارج اللبن من الضرع
والندي والمعنى انها حايل لا تحلب حتى ينقص الضرع بالحلب
وجعل نفي النقص عن بعضها نفيا له عن جميعها ومعنى
البيت ان هذه الناقة تشتمل على ثلاثة صفات من الصفات
المحمودة في الابل الاول غلظ ذنبها وطوله مستفاد ذلك

من قوله مثل عسيب النخل على ما تقدم بيانه وهو من الصفات
المحمودة التي تكون في الابل الصفة الثانية كونه كثير
الشعر وهو المعنى بقوله ذي خصل وهو من الصفات
المحمودة في نكولها ايضا الصفة الثالثة كونها حايلا
لم تحلب اللبن لان ذلك يكون اقوى لها في السير وهو
من الصفات المحمودة

البيت الخامس والعشرون

، قنواء في حرتيها للبصير بها ، عتق مبين وفي الخدين تسهيل ،

قوله قنواء في حرتيها القنواء بفتح القاف واسكان النون
وبالمد هي المحدوبة الانف ومنه قيل للرجل اقنى اذا كان
كذلك ويروي وجناء بدل قنواء والحرتان بضم الحا
وتشديد الراء وبعدها تاء مثناة من فوق ثم الف
ثم نون الاذنان وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما سمع هذا البيت قال للصحابة رضي الله عنهم ما حرتيها
قال بعضهم عيناها ثم سكت الباقي فقال صلى الله عليه
وسلم هما اذناها والبصير بها المراد به العارف بالابل
والعتق بكسر العين وفتح التاء وفي اخره قاف كرم الاصل
والمبين الظاهر والخدان جانبا الوجه والتسهيل ان
يكونا اسيلين لا ارتفاع فيهما ومعنى البيت ان هذه الناقة
تشتمل على ثلاثة اوصاف الوصف الاول كونها قنواء
وقد عده في جملة الاوصاف المحمودة من الابل لكن المنقول

عن العرب ان القناعيب في الابل كما هو عيب في الخيل وان انشد
على الرواية الاخرى وهي وجناء لزم منه التكرار لتقدم هذا
الوصف في البيت الثامن عشر في قوله غلبا الا انه تقدم
هناك تفسير الوجناء بمعنيين احدهما الصلبة والثاني
العظيمة الوجنتين فيجوز ان يكون قصد هناك معنى
الصلبة لانه هناك تكلم في عظم خلقتها والمناسب لعظم
الخلقة هو الصلابة والقوة وان يكون قصد هنا العظيمة
الوجنتين لانه هنا تكلم في حسن الوجه والراس من الانف
والاذنين والخدين فلا يلزم منه تكرار في المعنى وان تكرر
في اللفظ وهو اولى من الوصف بما يعد عيبا في الابل الوصف
الثاني حسن اذنيها بحيث انه اذا تاملها من له معرفة
بكرام الابل حكم عليها بانها من النوق العتاق الكرام الاصول
واعلم ان المستحسن في الابل مما يدل على كرم الناقة طول
اذنيها والمحاسن الدالة على كرم الاصل لا يدركها الا العالم
بشانها كما في الخيل واشار الى قوله مبين على ان دلالة
اذنيها على عتقها لا تخفى على ذي بصيرة الوصف الثالث
تسهيل خدبها بحيث لا تنوء فيها ولا ارتفاع وهو من الصفات
المحمودة في الابل فان قيل كيف يجمع الوصف بتسهيل الخدين
مع الوصف بكونها وجناء على تفسيره بعظم الوجنتين وهو
بنا في تسهيل الخدين الجواب انه قد تقدم هناك
ان المراد بالوجنتين طرفا الخدين فيجوز ان يكونا خدلها

في

كتابخانه مجلس شوراى ملى

في نفسهما اسيلين مسترسلين وطرفاهما فيهما غلظ وارتفاع
ويكون كل منهما معدودا من المحاسن

البيت السادس والعشرون

تخذي على يسرات وهي لاحقة ذوابل مسهن الارض تخليل

قوله تخذي بفتح التاء واسكان الخاء وكسر الذال ثم ياء
ساكنة تسيير الوخذ وهو ضرب من السير يقال اخذي
يخذي خذيا ووخذ يخذ وخذا وقوله على يسرات اي على
قوايم خفاف واليسرات بفتح الياء والسين ماخوذة
من اليسر وقوله وهي لاحقة اي وتلك اليسرات لاحقة
ومعناها غافلة لاشتغالها باليسر وقوله ذوابل بالذال
والباء اي وهي ذوابل ايضا شبهها بالرماح الذوابل واشار
الى صلابتها وقوتها وقوله مسهن الارض تخليل اي مس
قوايمها الارض بخفة اخذا من قولهم فعلت تخلة قسم
والمعنى انها تسرع قوايمها بشدة السير ومعنى البيت
ان هذه الناقة في غاية الاسراع في سيرها وذلك
انه وصف قوايمها في السير بخمسة اوصاف الاول انها
تسير الوخذ وهو من اسرع انواع السير وهو المعنى بقوله
تخذي على ما تقدم تفسيره الوصف الثاني خفة قوايمها
باليسرات الوصف الثالث الضمور والرقة وهو المعنى
باللاحقة والذوابل واذا كانت القوايم قليلة اللحم لم تكن
رهلة ولا مسترخية فيكون ذلك اسرع لوقوع قوايمها

وبسطها وان انشد على الرواية الاخرى وهي لاهية بدل قوله
لاحقة كان المعنى انها لاهية اي غافلة عن السير غير مكترثة
به مع اسراعها فيه وذلك سجية لها فهي تعقله مع غفلتها
له وهو اولى من حيث تعدد المعنى اذ اللاحقة والذوابل
متقاربان في المعنى الوصف الرابع صلابة قوايمها وهو
المعنى بقوله ذوابل على ما تقدم بيانه لانها قد تكون
ضامرة القوايم وليست بصلبة واذا اجتمع فيها الوصفان
كملت حسنا الوصف الخامس سرعة رفع قوايمها عن الارض
وهو المعنى بقوله مسهمة الارض تخيل وان كانت قوايمها
مشتملة على هذه الاوصاف كانت في غاية اسراع السير
فان قيل كيف ساغ ان يصف قوايمها بالضمور والرقة
بعد قوله فيما تقدم ضخم مقيدها مشيرا الى غلظ موضع
القيد منها وهو مستلزم لغلظ جميع القامة الجواب
ان المراد هناك غلظ العظم والعصب وهنا قلة اللحم
فلا منافاة بينهما

البيت السابع والعشرون

سمر العجايا يتركن الحصا زيما ٭ لم يقتمن روس الاكم تنعيل

قوله سمر العجايات السمر جمع اسمر كحمر جمع احمر وهي من
اوصاف الرماح والعجايات بضم العين وفتح الجيم وبعد
الالف ياء مثناة من تحت وتاء مثناة من فوق جمع عجاية
وهي من الاعصاب المتصلة بالحافر وقيل لحمة متصلة بالعصب

المنخدر

المنخدر من ركبة البعير الى الغرسن وشبه عصبها او لحم
قوايمها بالرماح لقوته وصلابته وقوله يتركن الحصا
زيما ويتركن بمعنى يجعلن والحصى معروف زيما بكسر
الزاي وفتح الياء المتفرقة وقوله لم يقتمن روس الاكم
تنعيل اي ليس بين تلك العجايات وبين الاكم التي تمر عليها
تنعيل يقتمنها والاكم بضم الهمزة واسكان الكاف
الروابي المرتفعة من الارض ومعنى البيت ان هذه الناقة
صلبة الاعلى صلبة الاسفل شديدة وذلك انه وصفها
بثلاث صفات الصفة الاولى صلابة العصب من قوله
سمر العجايات حيث شبهها بالرماح لقوتها الصفة الثانية
شدة وطيها الارض بحيث انها تفرق الحصا اذا وطيته
وقد قيل في قوله تعالى والعاديات ضبحا انها الابل
وفسر قوله فالموريات قدحا اذا اشتد سيرها وقعت
الحجارة بعضها على بعض فقدحت النار وان كان المشهور
ان المراد في الاية الخيل الصفة الثالثة صلابة خفافها
بحيث انها مع كثرة السير لا تخفى ولا تحتاج الى تنعيل مع
طول المدى وانما خص الاكم التي هي الروابي بالذكر دون
غيرها من الارض لانها قليلة السلوك فتبقى بها الحجارة
الخشنة ونحوها فاذا كانت لا تحتاج الى تنعيل فمثل ذلك
فغيره اولى والله الموفق

البيت الثامن والعشرون

كان اوب ذراعيها اذا عرقت ، وقد تلفع بالقور العساقيل ،

قوله كان اوب ذراعيها اذا عرقت الخ قوله في البيت الحادي والثلاثون ذراعا عيطل نصف وسيأتي هناك ان المراد من التشبيه الاسراع بحركة ذراعيها في السير ان شاء الله تعالى والاوب بفتح الهمزة واسكان الواو وبعدها باء موحدة سرعة تقلب اليدين والرجلين وقوله اذا عرقت كني به عن وقت الهاجرة وكانه يقول كان سرعة تقليب يديها في وقت اشتداد الحر ذراعا عيطل الخ وقوله تلفع بفتح التاء المثناة فوق واللام والفاء المشددة والعين المهملة معناه التحف والقور بضم القاف وبعد الواو راء مهملة جمع قارة وهي الجبل الصغير والعساقيل بفتح العين والسين وبعد الالف قاف والمراد به السراب والتقدير وقد تلفعت بالعساقيل القور اذ الجبال الصغار هي التي تلتحف بالسراب لان السراب يلتفع بها فوقع القلب في كلامه كما تقول ادخلت القلنسوة في راسي والمراد دخلت راسي في القلنسوة ومعنى البيت ان سرعة حركة ذراعي هذه الناقة في السير يكون في شدة وقت الهاجرة وقوة الحر في غاية الاسراع فما ظنك بها في غير هذا الوقت وان لم يصرح بالحر فقد اشار اليه في وجهين الاول عرفها مع ما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة والناقة التي بهذه الصفات لا تعرق

لاعيا

لاعياء ولا تعب وانما تعرق لشدة الحر وان كانت لا تتاثر به الوجه الثاني قوة السراب وغلبته بالمفازة حتى انه على صغار الجبال وعظامها وذلك لا يكون الا في وقت الهاجرة والله اعلم بالصواب

البيت التاسع والعشرون

، يوما يظل به الحرباء مصطخدا ، كان ضاحيه بالشمس مملول ،

قوله يوما اي كان اوب ذراعيها اذا عرقت يوما بمعنى ان الاوب والعرق وقع في ذلك اليوم بصفته وقوله يظل بفتح الياء والظا معناه يصير والحرباء بفتح الحا واسكان الرا والباء الموحدة وهو حيوان له سنام كسنام الابل يستقبل الشمس ويدور معها كيف ما دارت وهو في الظل اخضر ويتلون الوانا بحر الشمس وكنيته ابو قرة وكنية انثاه ام جبين والمصطخد بضم الميم واسكان الصاد وفتح الطا وكسر الخا وبالدال المهملة المصطلي بحر الشمس وقوله كان ضاحيه اي كان ذلك الحربا والضاحي بالضاد والحا البارز للشمس كما تقدم في قوله بضاحية المتنين ومنه قوله تعالى وانك لا تظا فيها ولا تضحى اي ولا تبرز للشمس والمراد هنا ما برز من الحربا للشمس وقوله مملول بفتح الميم الاولى واسكان الثانية وضم اللام بعدها المصطلي بحر الرمضا اخذا من قولهم مللت الخبز اذا جعلته في الملة بفتح الميم وهي الرماد الحار ومعنى البيت ان هذا اليوم الذي

حصل من هذه الناقة فيه غاية الاسراع في السير من شدة
حره وهو اجوه يصير الحر با مصطليا بالشمس لتغشيه
بها حتى كان ما بين زمنه للشمس خبز ملة قد انضجته
النار بشدة حرها واذا كان هذا سيرها في هذا اليوم
الشديد الحر ففي غيره اقوى واشد واسرع حركة

البيت الثلاثون

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصا قبلوا

قوله وقال للقوم حاديهم المقول لهم هو قوله في اخر
البيت قبلوا والمراد ان الحادي في تلك الحالة التي تلفع
فيها الجبال بالسراب امرهم بالقيلولة والورق بضم الواو
واسكان الراء وبعدها قاف الخضرة المايلة للسواد والجنادب
بجيم مفتوحة بعدها نون والف ثم دال مهملة مكسورة
وباء موحدة ضرب من الجراد وقوله يركضن الحصا
يرفعنه ومنه قوله ركض الدابة اي دفعها في جنبها
برجليه لتسير اذ المعنى ان الجنادب تنفر على الحصا
فتدفع بعضه الى بعض لقوته وقوله قبلوا امر من
القيلولة وقد تقدم الاشارة اليه في اول البيت ومعناه
ان هذا اليوم من شدة حره وهو اجوه كان الحادي الذي
من شانه ينشط الابل للسير هو الآمر للقوم بالقيلولة
اشفاقا على الابل واكد ذلك بوصف الجنادب بكونها
ورقا فانها لا تكون بهذا اللون الا في القفار الموحشة

السديدة

السديدة الحر البعيدة الماء كما تقدم فتكون مع سيرها
في الحر السديد فيها صبر على العطش في القفار عند عجز
غيرها

البيت الحادي والثلاثون

شد النهار ذراعي عيطل نصف قامت فجاوبها نكد مثاكيل

قوله شد النهار بفتح الشين وتشديد الدال المفتوحة
والمراد بشد النهار ارتفاعه تقول جيئتك شد النهار
اي وقت ارتفاعه والمعنى ان ذلك كان وقت ارتفاع
النهار وهو مبالغة في شدة الحر وقوله ذراعا عيطل هو
خبر كان في قوله في البيت الثامن والعشرين كان اوب
ذراعيها اذا عرفت كما تقدمت الاشارة اليه والتقدير
كان اوب ذراعيها اي اوب ذراعي هذه الناقة كالعيطل
والعيطل بفتح العين واسكان الياء وفتح الطا بعدها لام
الطويلة والمراد هنا المداد الناشطة القايمة
والنصف بفتح النون والصاد المهملة وبعدها فاء التي
بين الشابة والكهلة وقوله قامت اي قامت المراة
فجاوبها نكد والنكد بكسر النون واسكان الكاف وبعدها
دال التي لا يبقى لها ولد والمثاكيل بفتح الميم وثا مثلثة
بعدها الف ثم كاف مكسورة ثم ياء ساكنة بعدها لام
الكثيرة الخيال بالسراب واصطلاء الحر بالشمس حتى ينضج
جلده من شدة حرها وضحى الحادي واشفاقه على الابل من
شدة الحر والسير في المفاوز وقت ارتفاع النهار ذراعاها

في سرعة السير كذراعي امراة طويلة قامت تلطم وجهها
لشدة حزنها على ولدها فجاوبها نسوة فقدن اولادهن
وذلك انهما اذا رات حزن غيرها على ولدها وشدة ما عليه
من اللطم اشتد فعلها وقوي ترجيع يديها عند النياحة
وهذا التشبيه في غاية الحسن فان قيل ما المعني في وصفها
بالطول في قوله عيطل وبالتوسط في السن في قوله نصف
الجواب ان الطويلة تكون اطول ذراعا فتكون اوسع
خطوة فاذا وقتها سرعة الحركة مع ذلك كان في غاية
الاسراع واما التوسط في السن فانه حين اكتمال قوتها
وبلوغ اشدها وتمام قامتها اذ تكون قد انتهت في الطول
فتكون امد للخطوة واكمن للسرعة

البيت الثاني والثلاثون

نواحة رخوة الضبعين ليس لها ... لما نعي بكرها الناعون معقول

قوله نواحة اي كان ذراعيها في تلك الحالة ذراعا عيطل
نواحة والنواحة بفتح النون وتشديد الواو والف ثم حاء
مهملة مفتوحة ثم هاء التانيث التي بالغت في نوحها على
ميتها الرخوة بكسر الراء واسكان الخاء وفتح الواو والمسترخية
والمراد بالضبعين العضدان بفتح الضاد واسكان الباء وفتح
العين وبعدها ياء ثم نون وقوله ليس لها لما نعي بكرها
الناعون معقول اي ليس لها لما نعي بكرها من اولادها
معقول والنعي عبارة عن الاخبار بموت الميت واذاعته

وندبه والبكر بكسر الباء واسكان الكاف اول اولاد الام والناعون
المخبرون بالموت النادبون له والمعقول هنا بمعنى العقل
ومعنى البيت ان هذه النايحة التي شبه ذراعي الناقة في
سرعة الحركة بذراعيها مع كثرة نوحها مسترخية العضدين
فيداها سريعة الحركة وانها لما اخبرها الناعون بموت ولدها
لم يبق لها عقل رادع يردعها ولا زاجر يزجرها ولا تحس
بالاعياء والتعب فكانت نياحتها حينئذ اشد وابلغ وكذلك
هذه الناقة في سيرها ويوكده قوله في البيت السادس
والعشرون وهي لاحية على احد الروايتين كما تقدم هناك
وقد وقع المبالغة من اربعة اوجه احدها صيغة نواحة
مبالغة مقتضية لكثرة النواح الثاني ان الرخوة الضبعين
اسرع حركة من غيرها الثالث ان ولدها المنعي اليها هو
بكرها واعز اولادها الرابع انه نعي اليها وجاها خبره من
بعد ولم تكن ممرضة له فتتسلى بتمريضه

البيت الثالث والثلاثون

تغري اللبان بكفيها ومدرعها ... مشتق عن تراقيها رعابيل

قوله تغري بفتح التاء واسكان الغين وكسر الراء وبعدها
ياء اي تقطع واللبان بفتح اللام الصدر وقد تقدم في قوله
يمشي القراد عليها ثم يزلقه لبان وقوله ومدرعها اي
ومدرع تلك النواحة والمدرع بفتح الميم واسكان الدال
وفتح الراء القميص والمشتق المشقوق بكثرة والتراقي

بفتح التا والرآء وبعد الالف قاف ويآء عظام الصدر التي
يقع عليها القلادة ومنه قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي
بلغت الروح عظام صدره والرعابيل بفتح الرآء والعين
وبعد الالف باء موحدة ثم يآء مثناة تحت وفي اخره لام
القطع ومعنى البيت ان هذه النايحة لما ذهب عقلها بنعي
ولدها اليها صارت تقطع صدرها بكفيها وقميصها مشقق
قطع عن صدرها وهو كالموكد للذي قبله من ذهاب العقل
والمراد تشبيه الناقة بها في هذه الحالة انها صارت
مسلوبة العقل لاتحس بما تلاقي من الالم في بدنها وما
يفسد من ثيابها وهذا اخر ما اتى عليه من اوصاف الناقة

البيت الرابع والثلاثون

تسعى الوشاة جنابيها وقولهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول

تسعى يحتمل ثلاث معان الاول ان يكون من قولهم سعى به الى
السلطان سعاية اذا وشى به الثاني ان يكون من باب
الاسراع في السير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا اتيتم
الصلاة فلا تاتوها وانتم تسعون ويحتمل ان يكون منه
قوله تعالى وجآء رجل من اقصى المدينة يسعى الثالث ان يكون
من قولهم سعى اليه اذا اتاه ومنه قوله تعالى فاسعوا الى
ذكر الله والوشاة بضم الواو جمع واش وهو الذي يمشي
بالنميمة ليغير الخواطر وسموا وشاة لانهم يوشون الحديث
اي يزينونه اخذا من الوشي وقوله جنابيها اي جانبي

سعاد لا الناقة وواحدها جانب بفتح الجيم وهو فناء الشيء وما
حوله والمراد هنا ناحيتا الناقة ويروي حواليها بدل جنابيها
وهو بمعناه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعا الاستسقا
اللهم حوالينا ولا علينا وقولهم حينئذ هذا القول ويروي
وقيلهم بكسر القاف وهو بمعنى القول ايضا يقال قال يقول
قولا وقيل واراد بابن ابي سلمى هو كعب بن زهير بن ابي
سلمى ينسب بنوته الى جده كما في قوله صلى الله عليه وسلم
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وسلمى بضم السين قال
علما الحديث وليس في العرب سلمى بضم السين غيره والمراد
بقوله لمقتول اي صاير الى القتل كما في قوله انك ميت وانهم
ميتون اي لصايرون الى الموت ومعنى البيت ما كفاه ما لاقاه
من صد محبوبته واعراضها عنه وبعدها بحيث صارت
الى مسافة في البعد لا يبلغها الا الناقة التي وصفها حتى
ان الوشاة يسعون عندها ويغيرون خاطرها عليه
وينفرونها منه ثم يرجعون اليه فيخوفونه بالقتل ويضيقون
عليه سبيل النجاة والحاصل ان امر الوشاة يرجعون في
شانه الى مقصدين المقصد الاول سعيهم به عندها وابعاد
صدها عليه وهو المعنى بقوله تسعى الوشاة جنابيها وهذا
ابتلي به كثير من المحبين فيمن يحبونه فعلى ان يظن الانسان
بمن يحبه الاحسن عليه وتطرق عيون الوشاة اليه فاستماعه
عنه وصرف انظره عن رؤية محاسنه وان كان الصادق

في المحبة لا يغيره عن من يحبه اعراض ولا يصرف قلبه عن
حبيبه صدود وما دام الناس قديما وحديثا يذمون الوشاة
ويحذرون منهم ويقرنونهم بالذم والعاذل والرقيب ولله
در القائل

عندي لكم يوم التواصل دعوة ، يا معشر الحلسا والندماء
اشوي كبود الحاسدين بها ، والسنة الوشاة واعين الرقباء

واعلم ان السعاية والمشي بالنميمة وافساد ما بين الاحبة
خصوصا بالزور والبهتان امر مذموم شرعا وقد ورد الكتاب
والسنة بذمه والنهي عنه قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا
على ما فعلتم نادمين فامر بالتبيين والتثبت فيما نقله
الساعي ويمشي به النمام لما يحمله عليه الحسد والكذب
والاختلاق فيما يلقيه في نفاعيف كلامه وتوجيه زخرف
قوله وسماه فاسقا بقوله ان جاءكم فاسق بنبإ والمعنى
فيه اذا نم ومشى في السعاية خرج عن ان يكون ثقة وقد
ذمه الله تعالى ونهى عن طاعته واتباعه بقوله تعالى
ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد
اثيم ووعده بالويل بقوله تعالى ويل لكل همزة لمزة والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل وقد قال صلى الله عليه وسلم
ابغضكم الي المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وعيب
انسان في كلام نقل عنه قال من اخبرك به قال الثقة قال

لوكان

لوكان ثقة ما نم ولله در القائل

لا تسمعن من الحسود مقالة ، لوكان حقا ما يقول الواشي
ووشى واش برجل الى ذي القرنين فقال ان شئت سمعنا
منك ما تقول فيه على ان نسمع منه ما يقول فيك
وان شئت عفونا عنك فقال العفو لا اعود وبالجملة
من قال لك قال عليك ومن نقل حديث غيرك اليك
نقل حديثك الى غيرك وهذا مرض يبتلي به كثير من
الناس فيصير فيه طبعا مركبا وغريزة ثابتة فلا يستطيع
ان يسمع حديثا الا نقله ولا مجلسا الا احكاه وهو كما قيل
تراه يلتقط الاخبار مجتهدا ، حتى اذا ما وعاها ازق ما لفظا
ولله در القائل

انم بما استودعته من زجاجة ، تري الشي فيها ظاهرا وهو باطن

المقصد الثاني ارجافهم وتخويفهم له واظهار السماتة به وهو
المعني بقولهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول ومن هذا تخلص
الى قصته ذكر نفسه وكيف كان ابتداء امره مع النبي صلى
الله عليه وسلم فانتقل من ذكر سعي الوشاة به عند سعاد
الى تخويفهم له بالقتل الذي كان اوعده به النبي صلى الله
عليه وسلم حين هدر دمه قبل اسلامه وهذا هو النوع
الرابع من انواع النسيب وهو التعلق بغير المحب والمحبوب
بسببهما كما تقدم في اول الشرح وهذا كالتوطئة لما ياتي
بعده من المدح

البيت الخامس والثلاثون

وقال كل خليل كنت آمله ، لا هينك اني عنك مشغول

قوله وقال كل خليل اي وقال كل خليل من اخلائي والخليل الصديق وهو ماخوذ من الخلة بضم الخاء وهي الصداقة وقوله كنت آمله اي ارجوه لوقت الشدايد والضرورات وقوله لا هينك اي لاشغلنك عما انت فيه بان اسهله عليك واسليك عنه يقال لهي عنه اي تشاغل عنه بغيره وقوله اني عنك مشغول اي شغل نفسي يشغلني عنك ومعنى البيت ان اصدقاه الذين كان يرجوهم لشدايده ويخشاهم لوقت مصايبه قد تلاهوا عنه وتغافلوا واعرضوا عن نصرته وخلاصه من القتل وتبرؤا منه باسا من سلامته وخوفا من سطوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغضبه حين اهدر دمه وان في قتله لكل من لقيه وحق لهم ان يخشوا سطوة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيحين من حديث انس بن مالك رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم حين نزل بخيبر قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين هذا وقد هاد اجميع الملوك واتقوا سطوته وخافوه فهم ما بين مسلم ومسالم والله تعالى ايده بالنصر وحماه بالعصمة

البيت السادس والثلاثون

فقلت خلوا سبيلي لا ابا لكم ، فكل ما قدر الرحمن مفعول

قوله

قوله فقلت خلوا سبيلي يعني اتركوا سبيلي والسبيل الطريق وقوله لا ابا لكم نفيا للاب عنهم كما يقولون لا ابا لك وهي كلمة تقولها العرب تقصد بها الذم تارة والمدح اخرى فاما معنى المدح فانهم يريدون نفي نظير الممدوح اذ نظيره لا يكون الا من اب مثل ابيه فاذا انفي ان يكون له اب امتنع ان يكون له نظير واما معنى الذم فانهم يريدون انه مجهول النسب لا يعرفون له ابا وقوله فكل ما قدر الرحمن مفعول اي لابد وان يقع ومعنى البيت انه لما يئس من نصرة اخلائه وتحقق انهم لا يغنون عنه شيا ولا يستطيعون ان يمنعوا باس رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه امرهم ان يخلوا طريقه ليذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحبسوه عن لقائه والمثول بين يديه ليمضي فيه حكمه ذاما لهم ومنتهكا لهم بقوله لا ابا لكم واستند في امره الى اعتماد قدرة الله تعالى متيقنا ان ما قدر له وعليه لابد وان يستوفيه لا محيد له عنه ولا براح له عن استيفائه فادركته العناية الالهية من وجهين الوجه الاول قوة عزمه على لقاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسير اليه ليحصل على السعادة الابدية والنعم السرمدية التي لا تجد ولا تنفد وذلك انه تحقق بما كتب اليه اخوه بخيره انه صلى الله عليه وسلم يقبل من جاءه تايبا ولا يطالب بما كان قبل الاسلام كما تقدم ذكره في اول الشرح وكان

ذلك قد شاع عنه صلى الله عليه وسلم في قبايل العرب
وطوايف الامم وشرح الله صدره للاسلام وهداه الصراط
المستقيم من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد
له وليا مرشدا الوجه الثاني ركونه الى القدر واعترافه
بوقوعه توفيقا لمذهب الحق ومنهج الصدق قال تعالى
انا كل شيء خلقناه بقدر وقال عز وجل وكان امر الله قدرا
مقدورا وقد اخرج ابو داود من حديث عبادة بن الصامت
رضي الله عنه انه قال لابنه عند الموت يا بني انك لم
تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم ان ما اصابك لم يكن
ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم
قال له اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل
شيء حتى تقوم الساعة يا بني اني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس مني وفي
صحيح مسلم وغيره من حديث يحيى بن يعمر قال اول
ما كان في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت انا وحميد
ابن عبد الرحمن الحميري حاجين او معتمرين فاكتنفته
انا وصاحبي احدنا عن يمينه والاخر عن شماله وظننت
بان صاحبي سيتكل علي في الكلام فقلت يا ابا عبد الرحمن
انه قد ظهر قبلنا اناس يقرون القران ويتقفرون العلم
وذكرت من شانهم وانهم يزعمون ان لا قدر والامر انف

فاذا

فاذا لقيت اوليك فاخبرهم اني بريء منهم وانهم برآء مني
والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثل جبل
احد ذهبا فانفقه ما قبله الله منه حتى يومن بالقدر
واخرج ابو داود من حديث بن اليمان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة مجوس ومجوس
امتي هؤلاء الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا
جنايزهم ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم شيعة الدجال
وحق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلحقهم بالدجال
وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء واخرج الترمذي
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع القدر
فغضب حتى احمر وجهه كانما فقئ في وجهه حب الرمان
فقال ابهذا امرتم ام بهذا ارسلت اليكم انما هلك من
كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الامر عزمت عليكم عزمت
عليكم ان لا تنازعوا فيه

الباب السابع والثلاثون

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

قوله كل ابن انثى اراد به كل مولود يولد من ذكر وانثى

وان كان لفظ الابن لا يقع الا على الذكر في اللغة والمراد بالالة
الحدباء النعش سمي بذلك قيل لصعوبة مرتقاه وقيل لارتفاعه
وقيل اخذا من قولهم ناقة حدباء اذا بدت جوانبها لان
النعش كذلك والظاهر سمي بذلك تشبيها بالرجل الاحدب
فان العرب لم تكن تعرف هذه الاسرة المخرمة من الخشب
وانما كانوا يأخذون عصيا يربعونها تربيعا مستطيلا وينجون
وسطها بالحبال يحملون عليها موتاهم والعرب في البوادي
على ذلك الى الآن وهذه الالة اذا وضع فيها الميت وثقل
على الحمال بزنة العصي فاشبهت الرجل الاحدب في بروز
ظهره ومعنى البيت ان الانسان وان طال في فسحة الاجل
وسلامته من العوارض والافات فلا بد من وروده حياض
الموت وحمله الى الرمس ومصيره الى الاجداث وان كان الامر
على ذلك فهل يجزع الجازع بمثله يخوف بها من قتل وغيره
وحقيق ما قاله فالموت لا مخلص منه بالفرار ولا امتناع
بالتحصين وما احسن قول الشاطبي رضي الله عنه ملغزا
في النعش

- اتعرف شيأ في السما نظيره ٭ اذا سار صاح الناس حيث يصير
- فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا ٭ وكل اسير يعتليه اسير
- يحض على التقوى ويكره قربه ٭ وتنفر منه النفس وهو نذير
- ولم يستزر في رغبة عن زيارة ٭ ولكن على رغم المزور يزور
- البيت الثامن والثلاثون

انبئت

٭ انبئت ان رسول الله اوعدني ٭ والعفو عند رسول الله مأمول ٭

جميع ما تقدم توطئة لهذا البيت فان غرضه في القصيدة
التوصل والاستعطاف ومعنى انبئت اي اخبرت ويروي
نبئت وهو معناه وترك هنا ذكر الفاعل لامرين الاول
انه لا يتعلق بتعيينه غرض ومثله قوله تعالى اذا قيل
لكم تفسحوا في المجلس واذا قيل انشزوا واذا حييتم بتحية
الثاني انه مقام الاستعطاف يناسبه ان لا يحقق الخبر بالوعيد
بل ان يوتي به ممرضا كما يقال روي كذا وان وصلتها اما
على تقدير الباء وهو الاصل مثل انبئتهم باسمائهم بنوني بها
واما سادة مسد المفعولين على تضمين انباء او نباء اعلم
واري والوعد في الخير والايعاد في الشر وقال الشاعر

٭ واني اذا اوعدته او وعدته ٭ لمخلف ايعادي ومنجز موعدي ٭

ولهذا قال بعض فصحاء العرب في دعائه يا من اذا وعد
وفى واذا اوعد عفا وما احسن قول ابن الفارض

٭ متى اوعدت الموت وان وعدت لوت ٭ وان اقسمت لا يتري السمؤل بوت ٭

وانما يستعمل وعده في الشر مقيدا كقوله تعالى النار وعدها
الله الذين كفروا وفي البيت اعادة رسول الله لاظهار
التفخيم والتعظيم ولهذا اتى بعند ولم يات بمن لان عند
ادل في التفخيم ولقوة الرجا لانه قد ثبت وتواتر ان الصفح
من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وغريزة من
غرايزه الكرام وكان صلى الله عليه وسلم من ابعد الناس

غضبًا واسرعهم رضا والاحاديث بحلمه واردة والاخبار
والاثار بعفوه وصفحه متواترة قالت عايشة رضي
الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرًا
من ظلامة ظلمها ما لم تكن حرمة من محارم الله عز وجل
وما ضرب بيده قط شيًا الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى
وما ضرب خادمًا ولا امراة وفي حديثها الاخر وما انتقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك
حرمات الله تعالى فينتقم لذلك وجيء اليه برجل فقيل
هذا اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وتصدي له
غورث بن الحارث في بعض الغزوات وهو صلى الله عليه
وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قايلا والناس قايلون فلم
ينتبه صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم بالسيف صلتا
في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف
من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك
مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجا الى قومه فقال
جيتكم من عند خير الناس وهبط على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثمانون رجلا من التنعيم ليقتلوه فاخذوا
فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي
كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم
عليهم وجاء زيد بن شعبة قبل الاسلام يتقاضاه دينا

عليه

عليه فجبذ ثوبه بمنكبيه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ عليه
القول ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر
وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم انا كنا الى غير هذا احوج منه
تامرني بحسن القضا وتامره بحسن التقاضي ثم قال ابقي
من اجله ثلاث وامر عمر بقضيه من مال و يزيده عشرين
صاعًا لما روعه فكان ذلك سبب اسلامه وعن انس رضي
الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد
غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردايه حتى اثرت حاشية
البرد في صفحة عاتقه وقال يا محمد احملني على بعيري هذين
من المال الذي عندك فانك لا تحملني من مالك ولا من مال
ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله
وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي بما فعلت قال
لا قال لم قال لانك لا تقابل السيئة السيئة فضحك النبي صلى
الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر
تمر وقال له رجل اعدل فانت هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله تعالى فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت
وخسرت ان لم اعدل واراد بعض الصحابة قتله فنهاه عن
ذلك وسبق اليه ابو سفيان بن حرب جلب اليه الاحزاب
وقتل عمه واصحابه فعفى عنه ولاطفه في القول وقال ويحك
يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي

انت وابي ما احلمك واوصلك واكرمك وعفى صلى الله عليه وسلم
عن اليهودية التي سمته في ذراع الشاة بعد اعترافها بذلك على
صحيح الرواية ولم يواخذ لبيد بن الاعصم اليهودي حين سحره
واوحي الله اليه بخبره ولم يعنف عليه فضلا عن معاقبته ولم
يواخذ عبد الله بن ابي بن سلول واشباهه من المنافقين
بعظيم ما نقله عنهم صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا واشار
عليه بعض الصحابة رضوان الله عليهم بقتل بعضهم فقال
لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه ولما كسرت رباعيته وشج وجهه
يوم احد صلى الله عليه وسلم شق على اصحابه فقالوا يا رسول
الله لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا
ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون الى غير ذلك من الاحاديث
الصحيحة والاخبار المتواترة في علمه وحلمه وعفوه وصفحه
مع القدرة والظفر مما لا ياتي عليه حصر ولا يحويه طرس وقد
تقرر ان العفو والصفح من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالتخلق به والتمسك بسنته امر مندوب اليه ومرغب فيه
تاسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقد امر الله تعالى بالعفو
امرا عاما فقال تعالى وليعفوا وليصفحوا وقال عز وجل فمن
عفى واصلح فاجره على الله الى غير ذلك من الاثار الواردة
في العفو ثم لطالب العفو من القادر بيان السبب الاول
غلبة الهفوات في اقوال الناس وافعالهم فان الهفوات قد

تعرض

تعرض في المودات المستقيمة كما تعرض الامراض للاجسام السليمة
لان الناس مع اطوارهم المختلفة واخلاقهم المتفاضلة لا يسلمون
من الهفوات فكان الحرج فيها مرفوعا والعتب عليها موضوعا
وقد قيل من رام سليما من هفوة والتمس بريا من بنوة فقد
رام من الدهر خلاف ما هو عليه وقال بعض الحكماء لا صديق
لمن اراد صديقا لا عيب فيه وقال الاحنف بن قيس حق
الصديق ان يحتمل له ثلاثا الهفوة والزلة والغضب واذا
كانت نفس الشخص قد تعصى عليه فتؤديه وان جسمه قد
يسقم قلبه فيوليه وهما اخص به واحنا عليه من صديق قد
تميز بذاته فيريد من غيره لنفسه ما لا يجده من نفسه
لنفسه فقد رام المحال ولله در كشاجم حيث يقول

اقل ذا الود عثرته وقفه ... على سنن الطريق المستقيمة
ولا تسرع بمعتبة اليه ... فقد يعفو ويبنيه سليمه

السبب الثاني اختبار العبد وابتلاوه في حالة عزته وقدرته
ليجازيه الله بعفوه وصفحه اكرم عوض في ارفع محل فقد
مدح الله الكاظمين الغيظ واثنى عليهم واخبر بمحبته لهم فقال
جل قدره والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله
يحب المحسنين وورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله
تعالى يوم القيامة على رؤس الخلايق حتى يخيره من الحور
ما يشاء ويروي انه صلى الله عليه وسلم قال اربع كلمات من

كن فيه وجبت له الجنة وحفظ من الشيطان من ملك نفسه
حين يرغب وحين يرهب وحين يغضب وحين يشتهي واغاظت
عايشة رضي الله عنها علي خادم لها فقالت لله در التقوى
ما تركت لذي غيظ شفاء تريد انها منعتها من الانتقام

البيت التاسع والثلاثون

مهلا هداك الذي اعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

قوله مهلا اي امهل علي مهلا يخاطب بذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فالتفت فيه من الغيبة في قوله في البيت الذي قبله ابيت
ان رسول الله اوعدني الى الخطاب بقوله مهلا وقوله هداك
الذي اعطاك نافلة القرآن دعا للنبي صلى الله عليه وسلم وان
كان لفظه علي الماضي كما يقول صلى الله عليه وسلم وهو ابلغ
من صيغة الطلب والنافلة الزيادة ومنه سمي ما زاد على
الفرايض نافلة والقرآن كتاب الله المنزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمواعيظ جمع موعظة والتفصيل بالعباد
المهملة المراد به تبيين ما يحتاج اليه من امر المعاش والمعاد
ومعنى البيت طلب الامهال من النبي صلى الله عليه وسلم وان
لا يعجل عليه بالانتقام واستعطافه له بذكر ما امتن الله
عليه من اعطائه القرآن الكريم المشتمل على الاوامر والنواهي
والتفصيل الاحكام وهو كالتتمة للبيت الذي قبله لاشتماله
على تمام الاستعطاف في ثلاثة اوجه الاول طلب الامهال
منه صلى الله عليه وسلم اشارة الى قدرته عليه وتمكنه منه

وانه

وانه ليس له من النبي صلى الله عليه وسلم مخلص ولا مهرب
وفيه التعظيم والتفخيم لمقام النبوة والاخفاء فيه الوجه
الثاني التذكير بنعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم
من اعطائه القرآن وتنزيله عليه ليكون ادعى الى العفو
والشكر لنعمة الله تعالى اذ من جملة المنزل عليه خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين الوجه الثالث الاقرار
بالتنزيل وهو من تمام الاسلام الذي به تحقن الدم ويصان
عن القتل فان قيل اذا كان معنى النافلة الزيادة فما المراد
بزيادة القرآن هنا فالجواب ما اشار اليه ابن هشام
في شرحه ان الله تعالى انزل على رسوله ايات عظيمة علمه
اياها وجعل الكتاب زيادة كما في قوله تعالى ثم اتينا موسى
الكتاب تماما على الذي احسن زيادة على العلم الذي اتقنه

البيت الاربعون

لا تاخذني باقوال الوشاة ولم اذنب وان كثرت في الاقاويل

قوله لا تاخذني باقوال الوشاة سؤال تضرع لا تهي وامر
اذ النهي لا يكون الا من الاعلى للادني ومقام النبي صلى الله عليه
وسلم اعلا وارفع والاقوال جمع قول والوشاة جمع واش
وقد تقدم القول في البيت الرابع والثلاثين انهم الذين
يمشون بالسعاية عند النبي صلى الله عليه وسلم والاقاويل
جمع قول ومعنى البيت ان جميع ما رميت به من الذنوب
باقوال الوشاة علي كثرتها ليس مني ما صدر البتة عني

فلا تواخذني يا رسول الله بما ينسبونه لي من ذنوب انا عنها
بري وهذا هو من تتمة الاستعطاف والتلطف في القول المتوصل
به الى استجلاب القلوب واستمالة الخواطر وقد وقع التلطف
والاستعطاف فيه من ثلاثة اوجه الاول تعبيره عن الساعين
بالوشاة اشارة الى كذبهم وتغريضا لذمهم اذ السعاية
والمشي بالنميمة وافساد ما بين الاحبة خصوصا بالزور
والبهتان امر مذموم شرعا ومرفوض عقلا وقد ورد
الكتاب والسنة بذمه والنهي عنه قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا
قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فامر تعالى
بالتبيين والتثبيت فيما نقله الساعي ويمشي به النمام
لما يحمله عليه الحسد من الكذب والاختلاق مما يلقيه في
تضاعيف كلامه وتوجيه زخرف قوله وسماه فاسقا
بذلك والمعنى فيه اذا نم ومشى بالسعاية خرج عن ان يكون
ثقة وقد ذمه الله تعالى ونهى عن طاعته واتباعه بقوله
ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد
اثيم ووعده بالويل بقوله ويل لكل همزة لمزة والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ابغضكم الي المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة
ويحكى ان بعض السلف عتب انسانا في كلام نقل عنه
فقال له من اخبرك به قال الثقة فقال لو كان ثقة

مانم والى هذا يشير بعضهم بقوله

لا تسمعن من الحسود مقالة ۞ لو كان حقا ما يقول الواشي ۞

ويقال انه وشى واش برجل الى ذي القرنين فقال ان شئت
قبلنا منك ما تقوله فيه على ان نقيل منه ما يقوله فيك
وان شئت عفونا عنك فقال العفو على ان لا اعود وقد
قال صلى الله عليه وسلم لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي
شيأ فاني احب ان اخرج عليهم وانا سليم الصدر الوجه
الثاني التبرء من الذنب والتنصل منه بقوله ولم اذنب
وذلك ان عدم الاعتراف ابلغ من الاعتراف وادل على
الرهبة والخوف والذنب اذا اظهر عظم خطره وكدر الخواطر
ذكره واعلم ان للمسيء مع من اساء اليه ثلاث حالات
الاولى ستر الذنب ثم يسترسل الى الاعتذار والتنصل من
الذنب ويظهر الخوف من الاطلاع عليه فيوجب قبول عذره
والاغضاء عن ذنبه ولا يكشف عن باطن عذره ولا يعنف
بظاهر اساءته بشيء فيه يظهر بيان تدمه وتبين نجلته
والندم توبة والنجل انابة ولا ذنب لتائب ولا لوم على منيب
ولذلك لم يثرب النبي صلى الله عليه وسلم على كعب رضي الله
عنه ولم يوبخه وقد قال بعض الحكماء شافع المذنب خضوعه
لاعذره وما احسن قول القائل

۞ اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ۞ ان بر عندك فيما قال او فجرا ۞
۞ فقد اطاعك من يرضيك ظاهره ۞ وقد اجلك من يعصيك مستترا ۞

الحالة الثانية ان يعترف بالذنب ويقر بالتوبة ويقنع
منه بظاهر التوبة والندم على ما سقط منه ولا يكلف
بحد داعي ذلك فيلجأ الى الكذب وتورط بجعل التفريط
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاذير فان اكثرها
مضاجير وقال علي رضي الله عنه كفى بما يعتذر منه تمة
وقال بعض الحكماء شفيع المذنب اقراره وقال بعض الحكما
اوسع ما تكون المغفرة اذا صاقت بالذنب المعذرة
وانظر الى كرم الاخلاق من يوسف عليه السلام حين قال
له اخوته تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين
اذ كان جوابه لهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو
ارحم الراحمين ولله در القائل

العذر يلحقه التخريب والكذب ٭ وليس في غير ما يرضيك لي ارب ٭
٭ وقد اساءت فبالنعما التي سلفت ٭ الا منت بعفو منك يا سبب ٭

الحالة الثالثة لا يظهر توبة ولا يبدي عذرا وهي على مرتبتين
المرتبة الاولى ان يكون قد كف عن الذنب وامسك عن الزلل
فلم يتجاوزه الى زيادة عليه فحكمه حكم وقوف المرض عن
التزايد في العلة فكأنه قد اصلح نصفا وترك نصفا فيجب
المبادرة بمعالجة شطره الاخر ليكمل صلاحه فانه ميتا اهمل
ربما سري الداء الى الشطر الصالح فافسده فعاد الى النكس
فان من سقم شطر جسمه فلم يعالجه سري السقم الى صحيحه
وان عالجه سرت الصحة الى سقيمه المرتبة الثانية ان يكون

مستمرا

مستمرا على الاساءة ويأخذ في الزيادة فيها على مر الليالي وتعاقب
الايام فهذا من الداء العضال الذي تعسر مداواته ويشق
الصبر على معاساته فان امكن استدراكه وتلافي صلاحه بما
امكن من الملاطفة والا فاخر الدواء بعد العيا الكي ومن بلغت
به الاعذار الى غايتها فلا ملامة عليه والمقيم على شقاقه
باغ مصروع وقد قيل من سل سيف البغي اغمد في راسه الوجه
الثالث الاشارة الى عظيم العفو باستعظام الذنب بقوله
وان كثرت في الاقاويل وذلك انه اذا وقع الصفح والاغضا
مع عظيم الذنب وتمويل الامر كان ذلك ابلغ في عظم العفو
والكرم مع ما في ذلك من تمام التنصل من الذنب والتبري
منه ونسبته الوشاة الى الزور والبهتان وانه لا يليق
بذي المقام الاعلا والرتبة السنية ان يقبل قولهم قولا
وفعلا ولا يحملهم على صدق

٭ البيت الحادي والثاني والاربعون ٭

٭ لقد اقوم مقاما لو يقوم به ٭ اري واسمع ما لو يسمع الفيل ٭
٭ لظل يرعد الا ان يكون له ٭ من الرسول باذن الله تنويل ٭

هذان البيتان مرتبط احدهما بالاخر مع توليهما فحسن
الكلام عليهما جملة واحدة والتقدير فيهما لقد اقوم مقاما لو
يقوم به الفيل لظل يرعد الا ان يكون له من الرسول تنويل وقوله
في البيت الاول لقد اقوم فيه قسم محذوف لان قد لا تكون جوابا
للقسم اما ملفوظ به كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله

اسوة حسنة ويروى اني اقوم مقامًا والرواية المشهورة الاولى
وهي ابلغ في المعنى لتاكدها بالقسم المحذوف والمقام بفتح الميم
القيام والمراد قيامه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
والفيل الحيوان المعروف وقوله في البيت الثاني لظل يرعد
بالظاء المعجمة معناه لصار الا انه يقتضي ثبوت الفعل ه
وذراه كما في قوله تعالى وليئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا
لظلوا من بعده يكفرون وقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السما
فظلوا فيه يعرجون ونحو ذلك وقوله يرعد بفتح الياء وضم
العين انه تاخذه الرعدة والتنويل في اصل اللغة العطية
والمراد هنا اعطاء الامان ومعنى البيتين ان المقام الذي
قمته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قام فيه
الفيل الذي هو اعظم من جميع الحيوانات جثة واثبتها جاشا
وراي ما رايت هنالك وسمع ما سمعت لارتعدت فرايصه
وتزعزعت قواه الا ان يكون له من النبي صلى الله عليه وسلم
تامين يسكن بهما روعه ويثبت به نفسه كل ذلك لما يدركه
من هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جعل الهيبة التي
اشار بها ناشئة عن ثلاثة اشيا الاول هيبة المقام وحق
المجلس وذلك ان مجلسه صلى الله عليه وسلم كان في غاية الخفر
والاحترام وعظم الهيبة والجلال وقد وصف علي كرم الله وجهه
مجلسه فقال اذا تكلم اطرق جلساوه كانما على رؤسهم الطير
واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم

عنده

عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثه ولا شك ان ذلك من
هيبته صلى الله عليه وسلم عندهم واحترامه لديهم فلم يزل
صلى الله عليه وسلم عظيم الهيبة عندهم رفيع القدر لديهم
لا يزيدهم تلطفه بهم وتانيسه لهم الا هيبة الثاني هيبة
الرويا وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان مهيبا في نفسه
محفوفا بالجلال والخفر يهابه كل من يراه ويجله كما من لقاه
وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم من راه بديهة هابه
ومن عاشره احبه وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص
رضي الله عنه وما كنت اطيق ملا عيني منه اجلالا له ولو
قيل لي صفه لما استطعت لاني لم اكن املا عيني منه وربما
غلبت الهيبة على رايه صلى الله عليه وسلم حتى تاخذه
الرعدة لولا ما يلقاه منه صلى الله عليه وسلم من التلطف
والتانيس فقد جاء انه دخل عليه صلى الله عليه وسلم رجل
فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك انما انا
ابن امراة من قريش تاكل القديد الثالث هيبة السماع
وكانه يشير الى سماع القران فان له روعة تلحق قلوب
سامعيه وهيبة تغتر بهم عند تلاوته لغوة جلالته وانافة
خطره قال الله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لراينه
خاشعا متصدعا من خشية الله وقال عز وجل تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
وقد ثبت في الصحيح من حديث جبير بن مطعم قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثرا في المغرب بالطور فلما بلغ
هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله
المصيطرون كاد قلبي يطير وفي رواية وذلك اول ما قر
الاسلام في قلبي وربما اعترتني هذه الهيبة والرعدة من
لا يفهم معانيه الا ان يكون له من الرسول باذن الله تنويل
بلغه اياه صلى الله عليه وسلم واقالة عثرته لهلك من شدة الجزع
وغلبة الهيبة واعظم شاهد لذلك ما تقدم منه صلى الله
عليه وسلم انه دخل عليه رجل فجعل يرعد فقال هون عليك
انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد والله اعلم

البيت الثالث والاربعون

حتى وضعت يميني لا انازعه ... في كف ذي نقمات قيله القيل

والتقدير لقد قمت مقاما بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذني فيه من الرهبة والهيبة ما اخذني حتى وضعت يميني
في كف ذي نقمات قيله القيل لا انازعه في شيء والمنازعة
مجاذبة الامر والنقمات بفتح النون وكسر القاف جمع نقمة
ككلمات وكلمة والقيل والقال واحد والمراد ان امره نافذ
وقوله ثابت لا يتغير ومعنى البيت انه وضع كفه اليمين
في كف النبي صلى الله عليه وسلم وضع طاعة تسليما له وانقيادا
لامره خوفا من سطوته وشدة باسه يشير بذلك الى حاله
مع النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وهو في المسجد ووضع
يده في يده وقال يا رسول الله ان كعب بن زهير جاءك من

منك

منك تائبا مسلما فهل انت قابل منه ان انا جئتك به قال نعم
فقال يا رسول الله انا كعب على ما تقدم ذكره في اول الشرح
وقد اشار في بعض كلامه الى ثلاثة مقاصد الاول وضع يمينه
في كف النبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى الاعتناء بشان التيمن
في تنعله وترجله وشانه كله واخرج ابو داود من حديث
حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجعل
يمينه لطعامه وشرابه واخذه واعطاءه ويجعل شماله
لما عدا ذلك وحاصل الامر ان الاشياء الشريفة كالاخذ
والاعطاء والاكل والمصافحة يفعل باليمين والاشياء الخبيثة
كالاستنجاء ومس الذكر وما شاكل ذلك يفعل باليسار ولا
شك ان مصافحة النبي صلى الله عليه وسلم من اعلا الامور
الشريفة وارفعها رتبة لاجرم حسن التيمن فيها على الحركة
الطبيعية من بني آدم انما تصدر في الغالب من جهة اليمين
حتى انه يعسر التناول والدفع ونحوهما باليسرى الا لمن اعتاده
وذلك ان منشا الحركة من الكبد وهي في الجانب الايمن قال
الصلاح الصغدي ولا يبعد ان يكون كبد الاعسر في الجانب
الايسر فتصير حركته عنها على القياس الثاني عدم المنازعة
للنبي صلى الله عليه وسلم والدخول تحت امره والانقياد
لطاعته وهو من الامور اللازمة والواجبات المتحتمة حتى
ان الله تعالى قرن طاعته بطاعته قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وقال جل وعز

قل اطيعوا الله والرسول وقال جل من قايل من يطع الرسول
فقد اطاع الله الي غير ذلك من الايات الدالة علي وجوب
طاعته وفي حديث صحيح البخاري من حديث ابي سلمة بن
عبد الرحمن انه سمع اباهريرة رضي الله عنه يقول ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول من اطاعني فقد اطاع الله
ومن عصاني فقد عصي الله وفي حديث ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال كل امتي يدخلون
الجنة الا من ابي قالوا ومن يابي قال من اطاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد ابي وناهيك ان الله تعالي جعل
طاعته عليه الصلاة والسلام من تمام الايمان وكماله
قال تعالي فلا وربك لا يومنون حتي يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما
الثالث وصفه النبي صلي الله عليه وسلم بانه ذو نقمات
والمراد شدة السطوة وقوة البأس علي الكفار والاغلاظ
لهم في القول وعدم الضراعة لهم ايتمارا بامره تعالي حيث
قال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
الاية وقد وصفه الله تعالي بالرافة للمومنين والرحمة
فقال رءوف رحيم وفي حديث عايشة رضي الله عنها وما
انتقم رسول الله صلي الله عليه وسلم الا ان انتهكت
حرمات الله وما ضرب بيده شيا قط الا ان يجاهد
في سبيل الله تعالي الرابع وصفه صلي الله عليه وسلم

بان

بات قوله القيل وهو محتمل لامرين احدهما ان يكون
المراد انه اذا قال قولا من وعد او وعيد لابد وان
يقع وكان كذلك النبي صلي الله عليه وسلم وقد اخرج
ابو داود من رواية عبد الله ابن ابي الحمقا قال
بايعت النبي صلي الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت
له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت
بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتي لقد
شققت علي انا ههنا منتظرك مدة ثلاث ويروي
ان ابي بن خلف كان يقول للنبي صلي الله عليه وسلم
عندي افتدي يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم
فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلي الله عليه
وسلم انا اقتلك ان شا الله تعالي فلما كان يوم احد
قال ابن محمد لا نجوت ان نجا وشد علي فرسه طالب
رسول الله صلي الله عليه وسلم فاعترضه رجال
من المسلمين فقال لهم النبي صلي الله عليه وسلم هكذا
اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة
فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر
عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلي الله
عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تردي منها عن
فرسه مرارا وقيل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الي
قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس عليك فقال

لوكان نمابي بجميع الناس لقتلهم ايسر فقد قال انا اقتلك
يا ابن اي بصق علي لقتلني فمات بالطريق في قفولهم الى مكة
الثاني انه اذا سطا لا يثبت لسطوته شيء فقد ورد انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا غضب ولا يغضب الا لله
لم يقم لغضبه شيء

البيت الرابع والخامس والاربعون

لذاك اهيب عندي اذا كلمه ، وقيل انك منسوب ومسؤل
من خادر من ليوث الاسد مسكنه ، من بطن عثر غيل دونه غيل

الاشارة في قوله لذاك للنبي صلى الله عليه وسلم واهيب
معناه اشد هيبة ويروي ارهب وقوله اذا كلمه اي حال
كلامي له ويروي اذ يكلمني وقوله وقيل انك منسوب اي
انك مطلوب بالاعزاز عن نسبك وقوله مسؤل عما نقله
عنك وقد تقدم في اول الشرح انه من بني مزينة وقوله
من خادر اي اهيب عندي من ليث خادر وهو بالخاء
المعجمة والدال المهملة المكسورة والمراد الليث الداخل
الخدر والليوث جمع ليث وهو الاسد ومسكنه موضع
سكنه وعثر بفتح العين المهملة وتشديد الثاء المثلثة
المفتوحة وراء مهملة في اخره اسم مكان ويروي ببطن
عثر والغيل بالغين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحت
شجر ملتف يشبه الاجمة من القصب يأوي اليه الاسد
وقوله غيل دونه غيل اي اجمة داخل اجمة التقدير

لذاك

لذاك اهيب عندي من ليث خادر ويروي من ضيغم
من ضراء الاسد والضيغم من اسماء الاسد والضرابغة
الضاد المعجمة وتشديد الراء المهملة مع المد جمع ضار
وهو الكاسر اخذا من قولهم ومعنى البيتين انه لما كلم
النبي صلى الله عليه وسلم لدى مقامه بين يديه المقام
الذي تقدمت الاشارة اليه وقد اخبر ان النبي صلى الله
عليه وسلم تكلم معه في نسبه ومن اي قبيلة هو ومسايله
عما وشي في حقه للنبي صلى الله عليه وسلم ليطالبه بالخروج
منه اشتد هيبته عليه في خطابه وعظم في نفسه وقع
كلامه حتى وهنت قواه ودا خله الروع واشتد به الرهب
اكثر مما تداخله الهيبة من الاسد وقد اشتمل البيت على
ثلاث مقاصد المقصد الاول هيبة النبي صلى الله عليه وسلم
لما وشي في حقه للنبي صلى الله عليه وسلم ليطالبه بالخروج
منه وحقيق بذلك فقد تقدم من وصفه صلى الله عليه وسلم
انه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وخص
الهيبة بالاسد اشارة الى انه اعظم الحيوانات هيبة حتى
يقال ان الانسان بمجرد رؤيته لا يستطيع الفرار منه
لشدة الخوف فان قيل لم خص الهيبة الواقعة عنده
بحالة الكلام فالجواب انه لما اخذ صلى الله عليه وسلم
في الكلام معه ما هو متوقعه الكلام مبالغة في مزيد
الهيبة وعظم الحرمة اذ الرجل الجليل اذا اخذ في مخاطبة

من هود وته ومكالمته سكن جاشه وذهب روعه فاذا
كانت الهيبة قايمة في هذه الحالة كان ذلك دليل عظم الهيبة
ورفور الحرمة بكل حال فان قيل ما المعنى في مسايلته عن
نسبه واي غرض يتعلق بذلك فالجواب ان ذلك من
باب التوبيخ والتقريع لذا كان اوي الي قبيلة مزينة
يخبره من النبي صلى الله عليه وسلم فابت ذلك علي ما تقدم
ذكره في اول الشرح وكانه يقول من قبيلتك التي تجيرك
علي وقومك الذين يعصمونك مني قد تبرو امنك وتخلوا
عنك فان قيل لم وصف الاسد بالخادر والشجاعة تقتضي
الزفير فالجواب عندمن وجهين الاول ان الاسد في
الوحوش كالملك في الادميين كلما كان مختفيا عن العيون
كان اشد هيبة ووقعا في النفوس ولذلك لاتزال الملوك
تحتجب عن الرعية ليعظموا في نفوسهم ولو خالطوهم اوقربوا
منهم لهانوا عليهم الثاني اذا لزم الخبا ازداد توحشه
فتعظم جرآته واقدامه فان قيل اذا كان الليث اسما
للاسد صار التقدير لذاك اهيب من خادر من اشد الاسد
ولا معنى له فالجواب ان الليث اسم للاسد تقييد بالجلادة
كما ان الحسام اسم للسيف بصفة الجسم وهو القطع يقال
رجل ليث اذا كان شديد الجلادة وحينئذ فيكون بين الليث
والاسد مغايرة ما ويكون لذاك اهيب عندي من خادر
من اجل الاسد واقواهم فان قيل لم خص هذا الاسد بطن

عشر فالجواب انه مكان معروف بالاسد فان قيل ما المعنى
في جعله في غيل داخل غيل ولا يكون مختفيا في مكان داخل
مكان الا الشديد الخوف فالجواب انه قد تقدم ان
الاسد كالملك وان الملك كلما كان مختفيا كان ابلغ في الهيبة
ومقتضى ذلك انه كلما زاد اختفاؤه اشتدت هيبته
والله اعلم البيت السادس والاربعون

يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما ... لحم من القوم معفور خرادله

قوله يغدو من الغدو وهو الذهاب في اول النهار وقوله
فيلحم بفتح الياء وسكون اللام وفتح الحاء وميم في اخره ويجوز
فيه ضم الياء ايضا والاول افصح والمراد يطعم اللحم والمراد
بالضرغامين ولداه وهما تثنية ضرغام بكسر الضاد وسكون
الراء وفتح الغين المعجمة والف ثم ميم قال ابن الانبري
وهو الاسد الضاري الشديد الاقدام والمعنى انه يطعم
ولديه اللحم الاتي ذكره وقوله عيشهما لحم من القوم عيش
الضرغامين المذكورين لحم من القوم والمراد بالعيش القوت
وبالقوم الرجال وقوله معفور اي اللحم المذكور معفور
وهو بفتح الميم وسكون العين المهملة وضم الفاء وسكون
الواو وراء مهملة في الاخر الملتقي على العفر بفتح العين والفاء
وهو التراب وقوله خرادل بفتح الخاء المعجمة والراء المهملة
والف بعدها وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت
ولام في اخره وهي القطع الصغار ومعنى البيت ان الاسد

المشبه به في الهيبة لشجاعته لا يطعم ولديه الا لحم بني آدم ولشدة
ضراوته يقطعه قطعا صغارا او يعفره في التراب كانه
غير مكترث بالادميين واذا كان كذلك كان حقيقا بان
يهاب فان قيل لم خص وصف ذهابه الى الاصطياد بالغدوة
وهو اول النهار فالجواب ان ذلك ابلغ في الضراوة
من حيث انه لا يختطف الادمي ليلا وهو نائم وانما ياتيه
نهارا وهو مواجهه وهو في نشاطه وقوته لم يتعب معه
بكثرة الحركة والحركة في اول النهار اقوى بخلاف اخره
فان قيل لم ذكر اولاده بلفظ التثنية بحيث قال ضرغامين
ولم يقتصر على ذكر واحد ولم يزد على اثنين فالجواب
انه لم يقتصر على واحد لان في اطعام الاثنين زيادة شجاعة
على اطعام الواحد بكثرة الاصطياد واما عدم زيادته
على الاثنين فلعل الاثنين اكثر ما يلد الاسد فان قيل
اذا كان الضرغامين اسما للاسد الشديد الضاري كما
تقدم فكيف ساغ ان يصف شبلي هذا الاسد بهذا الوصف
الجواب انه يجوز ان يكون قد كبرا وكملا حتى صارا
اسدين كاملين ومع ذلك لضراوته وشجاعته لا يكلفهما
السعي والاصطياد ويكون احتياجهما حينئذ الى الطعام
اكثر فيكون ابلغ في شجاعته واصطياده فان قيل لم خص
طعامهما بلحم الادميين فالجواب ان الادمي اشد حرارة
واكثر دافعة من غيره من سائر الحيوانات مع ما خص به من

العقل

العقل الذي يحصل به التخيل والخلاص والهرب خصوصا
وقد خص ذلك بلحم القوم الذين هم جماعة من الرجال بالغة
في الشدة والقوة فان قيل لم وصف اللحم بكونه يبلى على
التراب وكونه قطعا صغارا فالجواب ان القاءه
على التراب دليل على عدم اكتراثه به كما تقدم ربما
دل ذلك على الشبع والعيافة على اكل اللحم لكثرته كما في
قول امرء القيس يصف عقابا

كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

يعني انها لكثرة اصطيادها تصيب قلوب الطير ملقاة
وكرها رطبا ويابسة لعيافتها عن اكلها واما كونه قطعا
صغارا فيحتمل ان ذلك لشدة الجراة مما تقدمت الاشارة
اليه ويحتمل انه يفعل ذلك من باب الحنو على اولاده
ليسهل عليهم الاكل والله اعلم

البيت السابع والاربعون

اذا يسا ورقرنا لا يحل له ان يترك القرن الا وهو مغلول

قوله اذا يسا ورقرنا اي يواتيه بمعنى انه يثب كل منهما
على الاخر وهو بضم الياء المثناة تحت من يساور وفتح
السين المهملة والف بعدها وكسر الواو وراء مهملة في
الاخر والقرن بكسر القاف وسكون الراء المهملة ونون
في الاخر المراد به المقاوم في الشجاعة وقوله لا يحل له ان
يترك القرن الا وهو مغلول اي لا يتاتى له بمعنى انه لا يمنع

نفسه من النكوص والهرب حتى كانه محرم عليه والمغلول
بفتح الميم وسكون الغاء وضم اللام وسكون الواو ولام
في الاخر المأخوذ المهزول واصل الغلل الكسر ومنه غلل الحسام
وهو ثلم حده ويروي الاوهو مجدول بفتح الميم وسكون
الجيم وضم الدال المهملة وسكون الواو ولام في الاخره
والمراد ملتوي بالجدالة وهي الارض ومعنى البيت ان هذا
الاسد اذا التقى مع مقاوم له في الشجاعة لا يستجير في طريق
الشجاعة ان يعرض عنه حتى يكسره ويهزمه على الرواية
الاولى او يدعه طريحا ملقى على الرواية الثانية واذا
كان بهذه الصفة كان جديرا بان يهاب وقد وقعت
فيه المتابعة بالشجاعة من وجهين الوجه الاول انه
ليس ورضيعا ولا جبانا بل مقاوما في الشجاعة
ومساويه في القوة وهو طريقة الشجعان في الحرب
حتى كان احدهما اذا بارز من هو دونه في الشجاعة
لا يبرز له ولا يقابله الوجه الثاني انه يربو بنفسه
عن ان يعرض عنه او يولي حتى يقهره ويغلبه وهذه
اتم حالات الشجعان وكذلك كان من خصائصه صلى
الله عليه وسلم انه لا يجوز له ان يولي عن العدو ولو
كانوا الوفا ولم يعرف له صلى الله عليه وسلم انه ادبر
يوما في الحرب ولا ولى والله اعلم

البيت الثامن والاربعون

منه

منه تظل سباع الجو ضامزة ولا تمشي بواديها الاراجيل

وقوله تظل سباع الجو ضامزة اي من ذلك الاسد وتظل
بفتح التاء والظاء ومعناه لا تزال والسباع جمع سبع وهو
في الاصل اسم لكل حيوان كاسر ثم غلب في استعماله على الاسد
والجو البر الواسع عليها فسره به ابن هشام والضامز
بالضاد والزاي المعجمتين الساكنة وقوله تمشي بضم التاء
المثناة فوق وفتح الميم وتشديد الشين المعجمة المكسورة
بمعنى تمشي وقوله بواديه اي في واديه والاراجيل مع
ارجل والارجال جمع رجل ومعنى البيت ان هذا الاسد
لشجاعته لا تزال سباع البر ساكنة من هيبته والرجال
لا تمشي بواديه خوفا منه وحذرا وهذا الذي سيكون
من الهيبة والشجاعة وهو ان يهابه حتى السباع حتى
لا يستطيع حركة منه خوفا وحذرا وغير جنسه من بني آدم
الذين هم اشد جرأة واقداما من سائر الحيوان لا يستطيع
احد منهم ان يمر بواديه الذي يقيم به فان قيل هل
يجوز ان يفسر الجو في كلامه بما بين السماء والارض والجواب
انه لا يمتنع ذلك وان خطاه ابن هشام في شرحه لانه
قد يراد بسباع الجو الطيور الكواسر كالنسر وغيره ويكون
في ذلك مبالغة في الشجاعة وهو ان تخافه سباع الطير
التي هي ممتنعة عنه بأجنحتها فما الظن بسباع الوحش
التي هي ساكنة معه في البر والله اعلم

البيت التاسع والاربعون

ولا يزال بواديه اخو ثقة ٭ مطرح البز والدرسان مأكول

قوله ولا يزال بواديه اخو ثقة اي بوادي ذلك الاسد والمراد باخي ثقة الواثق بنفسه في الشجاعة وقوله مطرح البز والدرسان اي مطرح كل من البز والدرسان والمطرح بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء المهملة المفتوحة وحاء مهملة في الاخر والبز بفتح الباء الموحدة وبالزاي المعجمة المراد به هنا السلاح والدرسان الثياب الخلقة المقطعة وقوله مأكول اي مطرح مأكول ومعنى البيت ان هذا الاسد المشبه به لم يزل يرمي في واديه من يثق بنفسه في الشجاعة الا وهو مأكول وسلاحه واخلاقه يابه مطرحان حوله وكانه لا يولع الا بالشجعان ولا يلتفت الى من عداهم والله اعلم

البيت الخمسون

ان الرسول لسيف يستضاء به ٭ مهند من سيوف الله مسلول

لما فرغ من وصف الاسد وجعل هيبته من رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد هيبة من هيبته له رجع الى تمام مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم قال التبريزي وجعله سيفا استعارة قال ابن هشام وليس كذلك وانما سمي مثل هذا عند اهل البيان تشبيها موكدا قال والمراد يستضاء به يهتدي به ويروى ان الرسول لنور يستضاء به قال ابن هشام وهو احسن والمهند بضم الميم وفتح الهاء وتشديد النون المفتوحة ودال مهملة في الاخر المنسوب الى الهند فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيوف الله مسلول والمسلول المصلت من غمده ومعنى البيت انه صلى الله عليه وسلم في الاقتداء به الى الحق كالسيف المهند المسلول وذلك انه كان من عادة العرب انهم اذا اراد واستدعاء من حولهم من القوم في ليل او نهار اشهروا السيف الصقيل وبرق به فتظهر لامعته على بعد فياتوا اليه مهتدين بنوره ومؤتمين بهديه والنبي صلى الله عليه وسلم لما جاء بالنور المبين والمعجزات الظاهرة ودعا الناس اليه اتوا ممتدين بنوره الساطع ومؤتمين بضيائه اللامع وقد ورد من هذا المعنى في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فشبهه بالسراج المنير عند ما وصفه بكونه داعيا الى الله باذنه وقد ورد في رواية ابن الانباري ان كعبا رضي الله عنه لما وصل في انشاده الى هذا البيت رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ببردة كانت عنده وان معاوية بذل له فيها عشرة الاف درهم فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم وهي البردة التي كانت عند الخلفاء من بني امية وبني العباس

البيت الحادي والخمسون

، في فتية من قريش قال قايلهم ، بيطن مكة لما اسلموا زولوا ،
قوله في فتية من قريش والفتية بكسر الفآ وسكون تآء الثانيث
وفتح اليآ المثناة تحت جمع فتي ومنه قوله تعالي وقال لفتيته
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم ويروي في عصبة وهي الجماعة
من الناس ما بين العشرين والاربعين وقريش اسم قبيلة
وقد اختلف في ابيها فذهب قوم الي انه النضر بن كنانة والراجح
عند اهل النسب انه فهر بن مالك بن النضر المذكور وقوله
قايلهم معناه قال قايل تلك الفتية وبطن مكة واديها
ومكة اسم للبلد الحرام ويقال لها ايضا بكة بابدال الميم باء
وبها جآ القران الكريم قال تعالي وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم ببطن مكة وقال عز وجل ان اول بيت وضع
للناس للذي ببكة مباركا وقيل بالميم الحرم كله وبالباء
المسجد وقيل بالباء اسم لموضع الطواف خاصة وقوله لما
اسلموا اي دخلوا في الاسلام وقوله زولوا اي هاجروا
عن مكة الي المدينة لما فرغ من مدح النبي صلي الله عليه وسلم
اخذ في مدح المهاجرين من اصحابه رضي الله تعالي عنهم
وعبر عنهم بقريش لان غالب الصحابة كلهم منهم والمعني انه
لما اسلم بمكة من قريش من اسلم اختاروا الهجرة من اوطانهم
بمكة والخروج الي غيرها من البلدان ليفوزوا بدينهم وقد
اتفق المورخون واصحاب السير ان اول من اسلم خديجة
بنت خويلد زوج النبي صلي الله عليه وسلم ثم اختلف في

اسلام

اسلام من بعدها فقيل علي بن ابي طالب وعمره تسع سنين
وقيل عشر سنين وقيل احد عشر سنة وكان في حجر رسول
الله صلي الله عليه وسلم قبل الاسلام يربيه ثم اسلم بعد
علي زيد بن حارثة مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم
وكان قد اشتراه واعتقه ثم اسلم بعد ذلك ابو بكر الصديق
رضي الله تعالي عنه وقيل اول من اسلم ابو بكر ثم اسلم بعده
عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي
وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ثم ابا
عبيدة بن الجراح وعبيدة ابن الحارث وسعد بن زيد
ابن عمرو بن نفيل وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر
ثم اسلم حمزة بن عبد المطلب بعده وهو الباعث لهم
بالهجرة والحاث لهم عليها واليه الاشارة بقوله في البيت
قال قايلهم وهذا البيت في الحقيقة مدح

البيت الثاني والخمسون

، زالوا فما زال انكاس ولا كشف ، عند اللقآ ولا ميل معازيل ،
قوله زالوا اي ذهبوا يقال زال يزول اذا ذهب وقوله
فما زال انكاس اي فما ذهب انكاس ولا كشف والانكاس
بفتح الهمزة واسكان النون وسين مهملة في الاخر جمع نكس
بكسر النون وهو الرجل الضعيف المهين شبه بالنكس من السهام
وهو الذي انكس فوقه فجعل اعلاه اسفله والكشف بضم
الكاف والشين المعجمة وفآ في اخره جمع كشف وهو الذي

لاترس معه في الحرب وقوله ولاميل معاذيل اي وما
زال ايضا ميل معاذيل والميل بكسر الميم وسكون الياء
المثناة تحت ولام في الاخر جمع اميل وله معنيان كل منهما
يصلح هنا احدهما انه الذي لاسيف معه الثاني الذي
لاتحسن اركوب ولايستقر على السرج والمعاذيل بفتح الميم
والعين المهملة والذال المعجمة زاي مكسورة وياء مثناة من
تحت ساكنة ولام في الاخر جمع معزال بكسر الميم وهو
الذي لاسلاح معه والمشهور فيه اعزل ومنه سمي النجم
المشهور السماك الاعزل لمقابلته السماك الرامح والرامح
في هيئة رجل بيده رمح والاعزل لارمح لمعه وقال المعري
في ذلك

لاتظلمن بغير حظ رتبة ٭ قلم البليغ بغير خط معزل ٭
سكن السماك ان السماكا لها ٭ هذا الرمح وهذا اعزل ٭

ومعنى البيت انهم زالوا من بطن مكة ولم يكن فيهم من هذه
صفته بل كانوا اقوياء ذوي سلاح فرسان عند اللقاء والمدح
فيه من وجهين الوجه الاول انهم خرجوا من اوطانهم
وفارقوا احبتهم من الاهل والولد فرارا بدينهم مع ما في
ذلك من المشقة العظيمة الامن وفي بوقاية الله تعالى
وناهيك بان الله تعالى قرن خروج الانسان من بيته
بقتل نفسه فقال جلت قدرته ولو انا كتبنا عليهم ان
اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم

وكفي

وكفي بذلك مبالغة في شدة فراق الوطن ومفارقة المنزل
المالوف الوجه الثاني انهم لم يخرجوا من مكة عن خوف
ولا قتال اذ كانوا اقوياء ذوي هيئة للحرب والقتال وانما
خرجوا لطاعة الله ورسوله واعلم ان للمومنين هجرتين
الاولى الى ارض الحبشة فهاجر منهم جماعة وذلك انه
لما اشتد اذى قريش بمن اسلم بمكة اذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لمن لبست له عشيرة تحميه بالهجرة الى
ارض الحبشة فهاجر منهم جماعة واقاموا في جوار النجاشي
فاحسن نزلهم وعاملهم بالكرامة وكان من جملة من
هاجر منهم الى ارض الحبشة على التتابع ثلاثة وثمانون
رجلا منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعثمان
ابن مظعون وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن
عوف وجعفر بن ابي طالب وجماعة من النسوة منهم
رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجها عثمان بن
عفان وارسلت قريش للنجاشي في طلبهم وهادوه
على ذلك فلم يمكن منهم الهجرة الثانية الى المدينة الشريفة
وهي التي بني عليها التاريخ الاسلامي وكان ابتدا امرها
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على
القبايل في موسم الحج ويدعوهم الى الله تعالى ويقول
يا بني فلان اني رسول الله اليكم ان تعبدوا الله وحده
ولا تشركوا به شيا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه

وان نؤمنوا بي ونصدقوني فانتفق ان خرج من الموسم
فلقي ستة رجال من الخزرج من اهل المدينة فعرض
عليهم الاسلام وتلي عليهم القران فامنوا به ثم انصرفوا الي
المدينة ودعوا قومهم الي الاسلام فاسلم منهم الكثير
وفشا الاسلام فيهم ولم يبق دار الا وفيها ذكر الرسول
صلي الله عليه وسلم فلما كان في العام الاخر لقي الرسول
صلي الله عليه وسلم اثني عشر رجلا من الانصار فبايعهم
علي ان لا يشركوا بالله شيا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق وبعث معهم رسول الله صلي
الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن مناف
ابن عبد الدار فعلمهم بشرايع الاسلام والقران فلما قدم
مصعب المدينة ودعا من بها الي الاسلام كان ممن اسلم
علي يديه سعد بن معاذ سيد الاوس وحمل قومه علي
الايمان بالنبي صلي الله عليه وسلم فامنوا به علي اخرهم
وفشا الاسلام بالمدينة حتي لم يبق فيها دار من دور
الانصار الا ودخلها الاسلام ثم عاد مصعب بن عمير الي
مكة بعد ذلك في ثلاثة وسبعين رجلا ممن اسلم من
الانصار بعضهم من الاوس وبعضهم من الخزرج فاجتمعوا
بالنبي صلي الله عليه وسلم عند العقبة ومعه عمه العباس
قبل ان يسلم فاستوثق منهم العباس للنبي صلي الله عليه
وسلم علي انهم لا يخذلونه ولا يسلمونه فقالوا ما لنا ان

قتلنا

قتلنا دونك يا رسول الله قال الجنة قالوا فابسط
يدك لنبايعك فبايعوه علي ذلك وانصرفوا راجعين
الي المدينة فخرجوا متتابعين واقام رسول الله صلي الله
عليه وسلم بمكة ينتظر حتي يأذن له ربه في الخروج
من مكة ومعه ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب ثم
خرج النبي صلي الله عليه وسلم من مكة ليلا ومعه ابو بكر
الصديق واقاما بغار جبل ثور اسفل مكة بثلاثة ايام
ثم خرجوا من الغار وتوجها الي المدينة وجدت قريش
في طلبهما فلحقهما سراقة بن مالك المدلجي فدعا عليه
رسول الله صلي الله عليه وسلم فغاصت فرسه في الارض
الي بطنها فرغب الي النبي صلي الله عليه وسلم في ان يسال
الله في خلاصه ففعل فتركهما ورجع وردّ كل من لقيه عن
رسول الله صلي الله عليه وسلم واقام علي بعد النبي
صلي الله عليه وسلم الي ان ادّي ودايع الناس كانت
عند النبي صلي الله عليه وسلم ثم قدم المدينة علي رسول
الله صلي الله عليه وسلم ثم كان بعد ذلك فتح مكة وغيرها والله
تعالي اعلم ۞ البيت الثالث والخمسون ۞

۞ شم العرانين ابطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل ۞

قوله شم العرانين ابطال لبوسهم في الهيجا سرابيل من نسج
داود والشم بضم الشين المعجمة جمع اشم وهو الذي في قصبة
انفه علو واستواء اعلاه والعرانين جمع عرنين وهو الانف

والابطال جمع بطل وهو الشجاع الذي يبطل الدما وتذهب هدرًا ولا يدرك عنده الثار واللبوس بفتح اللام ما يلبس من السلاح ومنه قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم والنسج المنسوج وداود النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بنسجه الدرع والسرابيل جمع سربال والهيجا من اسما الحرب ومعنى البيت انهم في الناس ذو رفعة وعلو مقدار وفي الحرب في غاية من الشجاعة ومنعة من السلاح وقد وقع المدح لهم من ثلاثة اوجه الوجه الاول كونهم شم العرانين وهو محتمل لمعنيين احدهما اراد ان يكون شم العرانين التي هي الانوف حقيقة وهو من الاوصاف الحميدة في تكوين خلق الانسان وقد جا في وصف النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اشم العرانين والثاني ان يكون استعار ذلك لرفعة القدر والعلو لانه يقال ذلك للرجل المرتفع القدر في انفه شمم ويجوز ان يقال ذلك للرفيع القدر في نفس الامر الوجه الثاني كونهم ابطال وهو من اوصاف الشجعان المبرزين للشجاعة ولا شك ان الشجاعة من احمد الاوصاف التي يمتدح بها ويقع الافتخار بسببها وفيه تقرير لما تقدم من معنى البيت الذي قبله من انهم لم يخرجوا من مكة عن ضعف ولا اهانة وانما خرجوا طاعة لله ورسوله الوجه الثالث ان لبوسهم في الحرب كانت من اصنع الدروع وامنعها لانه اضافها لنبي داود نبي الله صلوات الله وسلامه عليه وسلم ولا شك

ان دروعه احكم الدروع صنعة وصيرورة لين الحديد له وصدور تعليمه له من قبل الله تعالى قال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون وقال جلت قدرته والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وفيه اشارة الى امتثال امر الله تعالى بقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الاية فان قيل كيف حسن مدحهم بلبس الدروع والقتال دون لبسها اعلا في رتبة الشجعان وقد انكر عبد الملك بن مروان على كثير حين امتدحه بقوله

علي ابن ابي العاصي دلاص حصينة ... اجاد المسدي سردها فاذالها
يؤد ضعيف القوم حمل قناته ... ويستضلع القوم الاشم احتمالها

ولم يمدحه بمثل قول الاعشى في قيس بن معدي كرب

واذا الجياد بكتيبة ملمومة ... شهباء يخشى الرايدون نهالها
كنت المكرم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما ابطالها

فالجواب ما اجاب به كثير عبد الملك في قوله يا امير المومنين قد وصفتك بالحزم ووصف الاعشى صاحبه بالجنون على ان بعض الشعرا قد رجح قول كثير من حيث ان المبالغة في المدح احسن من الاختصار على الامر الاوسط وانما وقع من كثير لعبد الملك هو من باب المبالغة وفيما قاله نظر يريد الحزم فان الحزم دليل القوة الذي هو اشرف

مما مدح به من الخصال الشريفة ومن تمام الحزم الاحتراز كما اشار اليه كثير ولذلك امر الله تعالى في قوله خذوا حذركم واسلحتكم فيكون المدح بلبس الجنة اتم ولذلك ذهب اليه كعب في مدح المهاجرين والله اعلم

البيت الرابع والخمسون

بيض سوابغ قد شكت لها حلق ، كانه حلق القفعا مجدول

قوله بيض سوابغ والبيض بكسر الباء جمع ابيض والمراد المجلوة والسوابغ بالسين المهملة وبالغين المعجمة مع سابغ والمراد الطوال السوابل وقوله قد شكت لها حلق بضم الشين المعجمة من شكت اي ادخل بعضها في بعض ويروي سكت بالسين المهملة اذا ضيقت والحلق بفتح الحاء المهملة واللام جمع حلقة باسكان اللام وخالف الاصمعي فكسر الحاء من حلق وخالف ابو عمرو ففتح الحاء وحلق الثانية كالاولى والقفعا بفتح القاف وسكون الفاء بعدها وبالعين المهملة وبالمد شجر ينبت على وجه الارض متداخل بعضها في بعض فشبه به حلق الدروع والمجدول بفتح الميم وسكون الجيم الصنعة ومعنى البيت ان دروعهم مجلوة صافية طويلة متشكلة الصنعة تداخلت بعضها في بعض اشد تداخل ويكون المدح قد وقع فيهم من ثلاثة اوجه الوجه الاول انهم مستقبلون الحرب لان الحديد كلما استعمل انصقل وابيض ولم يركبه الصدا الوجه الثاني انهم في غاية القوة لان

الدروع

الدروع اذا كانت طويلة تامة كانت اثقل ضرورة وحملها في الحرب مع ثقلها يدل على الشدة والقوة الوجه الثالث ان لهم اعتناء بآلة الحرب حيث لم يتخذوا منها الا المحكم الصنعة العزيز الوجود

البيت الخامس والخمسون

لا يفرحون اذا نالت رماحهم ، قوما ولم يبطروا حجازيها اذا نيلوا

قوله لا يفرحون اذا نالت رماحهم الفرح معروف وكذلك الرماح وقوله نالت اي اصابت والقوم تقدم انهم الجماعة من الرجال والحجازيع بفتح الميم والجيم وبزاي معجمة وسكون الياء المثناة وعين مهملة في الاخر جمع بجزاع بفتح الميم وهو الكثير الجزع وهو الخوف وقوله نيلوا اي اصيبوا والمعنى انهم اذا اصابوا وغلبوا عدوهم لا يفرحون واذا غلبوا منه لا يجزعون من لقائه ثانيا ويكون المدح قد وقع فيه من وجهين الاول انهم كثيرون الظفر بالاعداء فاذا وقع لهم ظفر بعد ولا يفرحون به لان ذلك من عادتهم والفرح انما يقع بالشيء النادر القليل الوقوع الوجه الثاني انهم كثيرون الهم وفيهم الصبر والجلادة على الحرب بحيث انهم اذا ظفر عليهم العدو وغلبهم لا يمنعهم ذلك من ملاقاته مرة ثانية حقوقا وجزعا لقلة تغلبهم بالخطوب وتاثرهم بمكابدة الحروب والله اعلم

البيت السادس والخمسون

، يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ، ضرب اذا عرد السود التنابل

قوله يمشون مشي الجمال اي كمشي الجمال والزهر بضم الزاي المعجمة وسكون الهاء جمع ازهر وهو الابيض وقوله يعصمهم اي يمنعهم والمراد انهم يمنعون انفسهم من العدو عند اللقاء بصبرهم له وقوله عرد بفتح العين وتشديد الراء المهملة المفتوحة ودال مهملة في الاخر معناه فروا عرض ويروي غرد بفتح الغين المعجمة قال التبريزي وهو الطير الشديد الطرب قال ابن هشام في شرحه ولا معنى لهذه الرواية والسود جمع اسود وهو اللون المعروف والتنابيل بفتح التاء المثناة فوق ثم نون والف بعدها باء موحدة مكسورة وياء مثناة تحت ساكنة ولام وهي جمع تنبال والتنابيل القصار والمفرد تنبال والتاء فيه زايدة وهو احد ما جاء من الاسماء على تفعال بالكسر كالتمساح والاكثر تمسح بالكسر والتبراك والتعشار لموضعين والتلقاء والتقصار للقلادة الشبيهة بالمخنقة ويقال تقصارة ايضا وجمعها تقاصير وان كان التفعال مصدر فهو بفتح الاول كالتجوال والتطوال الا كلمتي التبيان والتلقاء قال الله تعالى تبيانا لكل شيء وتقول لقيته تلقاء اي لقاء واما قوله تعالى تلقاء اصحاب النار فهو من باب الاسماء وانتصابه على الظرفية وقد خطئ من ينشد قوله

، وما زال تشرابي الخمور ولذتي ، وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي ،

بكسر التاء انتهى ،

، البيت السابع والخمسون ،

، لا يقع الطعن الا في نحورهم ، وما لهم عن حياض الموت تهليل ،

وصفهم بانهم لا ينهزمون فيقع الطعن في ظهورهم ، يقدمون على اعدائهم فيقع الطعن في نحورهم ، روي انه لما انشد هذا البيت نظر عليه الصلاة والسلام الى من كان بحضرته من قريش ان اسمعوا ومثل هذا البيت قول الحصين بن الحمام

، تاخرت استبقي الحياة فلم اجد ، لنفسي حياة مثل ان اتقدما ،

، فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ، ولكن على اقدامنا نقطر الدما ،

، نعرقها مما من رجال اعزة ، علينا وهم كانوا اعق واظلما ،

يروي تقطر بالتاء المثناة من فوق فالدم اما مفعول به لانه يقال قطره الدم وقطرته والمعنى تقطر الكلوم الدم واما تمييز على ان الالف واللام زايدة كقوله

، رايتك لما ان عرفت وجوهنا ، صددت وطبت النفس يا قيس عن عمرو ،

ويروي بالياء المثناة من اسفل فالدما فاعل استعمله مقصورا وهو الاصل فيه وعليه في التثنية دميان قال الشاعر

، فلو ان مجراد نحنا ، جرى الدميان بالخبر اليقين ،

ولكن الاستعمال على الكثرة بحذف لامه في الافراد والتثنية وقوله تهليل مصدر هلل عن الشيء اي تاخر عنه يقول لا يتاخرون عن حياض الموت اذا تاخر غيرهم عنها ونكص وعن متعلقة بالتهليل وان كان مصدرا وقد مضى القول على ذلك مرة واحدة

٧٨

والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
تم الشرح المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
ووافق الفراغ من كتابة هذه النسخة
المباركة يوم الاثنين المبارك سادس
جمادي الاولى من شهور سنة ١١٥٥
الف ومايه وخمس وخمسين
من الهجرة النبوية على
صاحبها افضل
الصلاة واتم
التسليم